المكتبة السيكلوجيه

الطريق إلى النجاح

عاطف عمارة

الناشر
ملا بوك شوب

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحياة فن .. لكى نمارسه يجب أن نعرف كيف نتقنه ..

ولكى نتقنه .. يجب أن نعرف وسائل وأساليب إتقانه ، ولكى نعرف وسائل وأساليب إتقانه، يجب أن نعرف أنفسنا ، قدراتنا ومواهبنا ومؤهلاتنا، من نحن؟ ماذا نريد من حياتنا ؟ هل نقدر على تحقيق كل مانريد . أم لا نقدر؟ هل نحن أقوياء ؟

ما أسباب وعوامل النجاح في الحياة؟ ما النجاح ؟ ما السعادة ؟

لكن قبل هذا كله قد نجد أنفسنا وجها لوجه أمام أعظم الألغاز ، اللغز الجامع لكل الأسئلة المبهمة. وهو لغز الحياة ذاتها، ما الحياة؟ ما الهدف منها؟

هل يعنى تحقيق هدف الحياة تحقيق السعادة والنجاح؟ وبأى القوى تحقق الحياة أهدافها؟

كل هذه الأسئلة وغيرها، تدل على أن الحياة مازالت بالنسبة لنا من أعظم الألغاز، رغم مانعرفه عنها، ورغم التراكم المعرفى الهائل الذى حققه كل من

العلم والفلسفة. كل في ميدانه، ومع ذلك يمكن القول أن كافة الحقائق التى توصل إليها الإنسان منذ قديم الزمان وحتى يومنا هذا، تنبع من الحقيقة الأولى التى هـــــى : « الحياة » إذ بين قطبى تلك الحقيقة ، الزمان – المكان ، يتدفق نهر الوجود حاملاً صور الحقائق. الحقة منها والزائفة على السواء، وذلك على اعتبار أن العقل هو الذى يصوّر الحقائق ويتصورها في الوقت الذى يعتبر هو نفسه فيه جزءاً من الحقيقة الكبرى. نتيجة كل الحقائق :«الحياة » .

ولأن الحياة ذاتها هى حقيقة الحقائق ومصدر كل الحقائق، فهى كذلك قيمة القيم ومصدر كل القيم، وهى باعتبارها كذلك، تعتبر قيمة في ذاتهـــــا . أو غاية في ذاتها، يحقق منها كل موجود حسب درجة رقيه في مدارج الوجود وهنا لايمكن ان ينفصل الوعى عن الرقى، إذ الوعى هو الذى يصوّر ويتصور الحقائق. فإذا كانت الحياة « حقيقة الحقائق » غاية في ذاتها . فإن تصور الوعى لها هو الذى يختار ويحدد الكيفية التى تحقق بها تلك الغاية، عبر السلوك ، وعليه تتحدد درجة رقى الموجود أو الكائن الحى .

هنا أيضا يجب أن نميز بين « الموجود » من جهة .. وبين « الكائن الحى» من جهة أخرى ، إذ لا حرية للكائن الحى في اختيار الكيفية التى يحقق بها الغاية .. « الحياة » .

إن حياة الكائن الحى سواء كان نباتا أم حيوانا، تخضع خضوعا تاماً لآلية المادة الحيّة . وماتنطوى عليه تلك الآلية من تكرار نافٍ للحرية والخلق والابداع والابتكار، بل وللاختيار الذى يجعل منه « الابتكار » .. «المتوّجه» نحو التطور صراعًا مع « الضرورة » التى تفرضها المادة .

لذا فإن رقى الكائن الحى ، أيا كان . في مدارج الوجود، أقل كثيراً من رقى « الموجود الانسانى » الذى لا ينفصل وعيه بالغاية عن حريته في تحقيقها . أى عن حريته في أن يكون هو « ذاته » - باختياره - « لذاته » ، أي بتحقيقه لوجوده الإنسانى .

ذلك أن الحياة باعتبارها غاية في ذاتها تتجه دائما إلى الاكتمال والتحقق .

بيد أن الاكتمال لا يتم في مراتب الوجود الأدنى من الوجود الإنسانى الا بتحقيق ذاته في ذلك المستوى من الوجود الأدنى من الوجود الإنسانى، أي لا يتحقق الا بالخضوع لآلية المادة وما تفرضه تلك الآية من «ضرورة» أو من « حتمية» نافية للحرية .

وهكذا يصبح أرقى مدارج الحياة والوجود هو ذلك المستوى المرتفع من الوعى والذى نسميه «الوجود الإنسانى » على اعتبار أن هذا المدرج من مدارج الوجود. إبداع ذاتى مستمر، يقوم على الحرية والاختيار الهادف لتحقيق الذات .

والمقصود بالاختيار الهادف لتحقيق الذات هو ذلك الجهد الدائب الذى تبذله الشخصية الانسانية عبر كفاحها جسر تحول الشخصية وتبلورها الى « ذات » .. ثم عبور هذا الجسر أيضا من التبلور الى التجوهر في «الكينونة» التى تعنى كل معانى التميز والتفرد والخصوصية .

فالإنسان هو الموجود الأوحد الذى يتميز بتفرد شخصيته في نوعه البشرى . في حين ينعدم وجود الشخصية لدى سائر الكائنات الحية الأخر .

والذات الانسانية تحقق نفسها عبر تحقيق واستخدام كافة طاقاتها وإمكانياتها ومواهبها الكامنة فيها ، وهى لكى تفعل ذلك تخوض صراعا ضد المادة ، باعتبارها أهم المعوقات التى تعرقل حركة انطلاق الكائن الحى وتطوره. وقد يكون الصراع بين الذات وبين المجتمع الذى يحدّ من النمو النفسى أو الاتساق النفسى ، ويكبح طاقات النفس وميولها وطموحاتها الدائبة التى تجسدها محاولاتها لمقاومة « الحتميات الاجتماعية المصطنعة » .

فالوعى الأعمق يرى تلك الحتميات المصطنعة على حقيقتها ويدرك أنها ليست اكثر من محاولات اجتماعية صادرة عن الوعى الجمعى هدفها الوحيد هو دمج « الفرد » في « المجتمع » ومحاولة جعله مجرد رقم من أرقام « الحشد » الأمر الذى ينتهى غالبا بطمس معالم الهوية الفردية للإنسان أي هزيمة الشخصية وانكسار الذات وخسران معركة الحياة .

إن الوعى الأعمق يدرك ضرورة مقاومة تلك الحتميات لأنها لاتحقق هدف الحياة، بل تعرقله ، والتمسك بها يؤدى حتما الى هزيمة الذات في معركة الحياة ، وإن كسب هذه المعركة لابد لتحقيقه من الحرية والتحرر من الحتمية مهما كانت صورها . ذلك أن النجاح الشامل ، الكامل ، في كل مستويات الحياة وجوانبها ، يقوم اساسا على الحرية والإبداع حتى تتمكن الذات من توظيف كامل مواهبها وطاقاتها – دون معوقات – في تحقيق أهدافها .. ونجاحها .

عاطف عمارة

الفصل الأول

إرادة النجاح

كما تريد .. تكون

فالإرادة قوة .. يمكن استغلالها في تحقيق مانريده شريطة أن نعرف ماهى الإرادة؟ وكيف يمكننا الاستفادة بها ؟

فإذا علمنا ما هى الإرادة بمعناها الصحيح تمكنا من تحقيق أي طموح إذ قد يتوافر لدى الانسان الطموح الجامح، أو حتي الطموح المتوازن المعتدل ، لكنه لايجد في نفسه العزيمة أو الإرادة لتحقيق ذلك الطموح، فهل حقا يولد بعض الناس بلاإرادة ؟

الجواب هو : أننا جميعا نملك نفس القدرات والملكات. ومنها الإرادة ، لكن عدم معرفتنا بماهية الإرادة . المعرفة الكاملة أو الصحيحة ، هو الذى يجعلنا نسيء استغلال هذه الملكة ورويداً رويداً يؤدى بنا سوء استغلال ملكاتنا وقدراتنا ، ومنها الإرادة، إلى فتورها واضمحلالها. فنعتقد أننا ضعاف الإرادة . أو أننا من الذين قدر لهم العجز عن تحقيق طموحاتهم .

والواقع أن الضعف والعجز قدر من يريدون أن يظلوا ضعفاء ، ونكرر : «يريدون» .. لأنهم بمجرد أن يعقدوا العزم على تغيير أوضاعهم في الحياة. سوف يجدون في أنفسهم القوة اللازمة لإجراء هذا التغيير فعلا فاذا تعرفوا تلك القوى في أنفسهم لم يبق لهم الا أن يجيدوا استخدامها وتوجيهها نحو أهدافهم.

إذن ما هى الارادة ؟

الإرادة – في القاموس – هى: « ملكة التصميم على أعمال معينة اختيارا»

لكن ما الذى يجعل هذا التصميم ضمانا للفعل وحافزا للقدرة الفاعلة ؟ الجواب بالطبع هو : « الخيال» أو «المخيلة» فالخيال قوة أعظم حتى من قوة الارادة ، لأنه يتحكم فيها ويقودها ، فالتصور الذى يقود القدرة على الفعل يرجع إلى المخيلة، أنت قادر أن تفعل هذا الشيء – لأنك تخيلت هذا ، ووقر في نفسك انك تستطيع أن تفعل. فالإرادة يحركها الخيال والتصور ، وقد ضرب « وليم سرجيوس » مثلاً لذلك بقوله :

« افرض أننا قد وضعنا لوحًا على الأرض طوله ٣٠ قدما وعرضه قدم واحد فمن الجلى أن كل انسان يستطيع ان يسير على هذا اللوح مجتازًا من أحد طرفيه إلى الطرف الأخر بدون تجاوز حدوده .. لكن غير أحوال التجربة .. وتخيل أن هذا اللوح موضوع على علو ارتفاع ابراج كنسية كاتدرائية مثلاً ، فمن الذى يستطيع أن يتقدم حينئذ أقدامًا قليلة على هذا الطريق الضيق (اللوح) دون أن يسقط؟ فانك قبل أن تخطو خطوتين تبدأ تضطرب ورغم ما تبذله الارادة من مجهودات فانك لابد ان تسقط على الارض .. فلماذا لا تسقط عندما يكون اللوح موضوعا على الأرض وتسقط إذا رفع الى علو فوق الأرض ؟ إن ذلك يرجع إلى أنه في الحالة الأولى « يخيل » إليك أنه من « السهل » الاجتياز من طرف اللوح إلى طرفه الآخر. بينما في الحالة الثانية « يخيل » إليك انك لا تستطيع » ذلك ، لاحظ ان إرادتك – في الحالة

الثانية – عاجزة عن أن تجعلك تتقدم ، فإذا كان يخيل إليك انك لا تستطيع ذلك فإنه يستحيل عليك إطلاقا أن تفعل ذلك » .

إذن تخيل عدم القدرة وتصور عدم الاستطاعة أو العجز وضيق الامكانيات هو الذى يقف خلف كل فشل أو ترد أو امتناع الفعل، وأقل اضرار هذا التصور هو فتور الحماس والهمة ، وزعزعة الثقة بالنفس. وانت إذا في حاجة الى الثقة الدائمة في قدراتك وامكانياتك ، اذا أردت أن تنجح في حياتك بل أنت في حاجة الى الشجاعة والقوة اللازمة للانتصار على كافة المعوقات والمخاوف التى تفت في عزيمتك وتضعف من إرادتك وليس من سبيل إلى ذلك سوى تنمية قدراتك الفعلية وملكاتك الأصلية ومنها .. « الخيال » .

وليس أفضل من « التأمل» لتنمية ملكة الخيال. تأمل – معى – معنى الحياة، أو معنى النجاح ، أو معنى الصحة. وستجد أن جوهر كل معنى من هذه المعانى هو« القوة » أو« النشاط الفعّال » انها قوة إيجابية على وجه الدقة. وكل المعانى النقيضة هى ايضا قوة .. لكنها قوة سلبية تجسد مضمون كل معنى ، مثل : العدم ، أو الهزيمة ، أو المرض. وكل معنى يتألف من تصور ، ايجابيا كان أم سلبيا، وكل تصور في الذهن يولّد انفعالا موجبا أو سالبًا ، أي يولّد قوة ايجابية تحقق حالات نفسية كالنجاح والصحة والسعادة ... الخ ، أو تولّد قوة سلبية تحقق حالات نفسية كالمرض والخور والضعف والهزيمة والاستسلام .

صحة الجسم وسعادة الحياة إذن تتوقف على نوع الأفكار التى تشغل عقولنا الواعية وتتسرب فيها الى عقلنا الباطن لتعمل بمثابة إيحاءات ، تعمل

إما للهدم وإما للبناء ، إما للنجاح وإما للاخفاق، للخير والشر، القوة أو الضعف. ومن هنا تأتى أهمية وضرورة ضبط الأفكار والتحكم فيها بهدف السيطرة على القوة الايحائية التى توجه حياتنا الوجهة النافعة ، ويلزم لذلك أن نعرف أن الايحاء هو: القوة الباعثة الموجهة لعقلنا الباطن، وأن عقلنا الباطن هو المسيطر على حياتنا وهو الذى يشكل شخصيتنا ، وأن التفاؤل هو الذى يجعل الايحاء نافعا وايجابيا لأنه يغرس في النفس معانى : القوة ، الثقة ، النجاح ، الإرادة ، الشجاعة ، السعادة ، الطموح .. وكافة المعانى الإيجابية التى تمدنا بالصحة النفسية والقوة.

على أن وظيفة الإيحاء تتم كذلك عن طريق الخيال. وكلما كان الخيال قويا كان الإيحاء أفعل وأقوى في فعله ، ولنؤمن أننا نملك كل مقومات النجاح من قوة إرادة وثقة بالنفس وعزيمة ماضية وطموح .. ورويداً رويداً يتحول الخيال الى إيحاء والإيحاء إلى قوة نفسية تدفعنا فعلا إلى النجاح وتخطى كافة العقبات .

إذن فالإيحاءات الايجابية كقوة من قوى الخيال السليم على درجة من الأهمية تتضح إذا قورنت (بالخيال المريض) وما يفرزه من إيحاءات سلبية ضارة كالمخاوف والمرض والقصور والعجز والتردد والقلق .. الخ .

والتفاؤل عموما قوة .. مساعدة على تغيير الأوضاع ، مهما كانت سيئة، على عكس التشاؤم الذى يغرس في النفس الإيحاءات السلبية ويوطد الأمراض النفسية والبدنية ، ويقوى المخاوف وكافة السلبيات التى تعرقل مسيرة الحياة وانتصارها .

إذن الخيال السليم – غير المريض – هو الخيال الذى يتغذى بالإيحاءات الايجابية . والإرادة القوية هى التى يقودها الخيال السليم ، ذلك إن الايحاء النفسى يجد له صدى في النفس والجسم معًا . فالنشاط النفسى هو انبعاث وانعكاس لوظائف الاعضاء لكن ما يلبث هذا النشاط أن يرتد مرة أخرى إلى الجسم ليؤثر في إفرازاته سلبا أو ايجابا ، صحة أو مرضا ، بحسب طبيعة الإيحـــاء .

إذن عن طريق الإرادة وسلاحها « الخيال » الفعال يحدد الإنسان مساره في الحياة، بل يختار حياته أو موته، فالموت قبل انتهاء الحياة.. أسوأ مايمكن أن يختاره الانسان لحياته من مسار ومصير، ونحن بالفعل نموت مئات المرات قبل أن يموت الجسد، نموت نفسيا وذهنيا، أي حينما نترك وجودنا نهبا لعوامل الفناء واضمحلالا لقوى الذاتية والمواهب والملكات التى نملكها . وما اكثر العوامل التى تؤدى بنا إلى الموت لو استسلمنا لها ، وأولها اليأس، والخوف ، وكراهية التجديد والابداع ، كراهية التطوير والتطور. ونحن نموت عندما نترك أنفسنا لحياة النمط «الجمود والتجمد» أي عندما نحيا كالطفيليات على حياة وأفكار وإبداعات غيرنا، سواء في الماضى (اجدادنا) . أو في الحاضر (الغرب) دون أن نجرؤ على إعادة صياغة وإبداع وجودنا الخاص. بأنفسنا ، وأصل هذا التجمد هو الخوف من الجديد والتجديد، أو الخوف من المخاطرة بالاستقرار من أجل وجود اكثر وعيا وتقدما ورقيا ، مع أن الحياة ذاتها مغامرة ومخاطرة هدفها «انتخاب» أفضل القوى التى ينميها التطور لتكون قادرة على تحقيق المزيد من الرقى والتقدم والتطور، وكم من

أمثلة تبرز قوتنا حين نجددها بلا وعى ، ومنها «القناعة كنز لايفنى» أو « ليس في الإمكان أبدع مما كان » وغير ذلك من الأمثلة التى تدل على فقد حياتنا للحيوية الوجودية » التى وهبتها لنا الحياة اى تدل على « موتنا الوجودى » قبل موتنا الجسدى .

فالإرادة بمعنى من معانيها « قصد » يتجه الى تحقيق « غاية» وجودية ولكل قصد قوة دفع ووسائل يستخدمها للوصول الى الهدف .. وليس الهدف في النهاية سوى (النجاح) الشامل المتكامل، أي نجاح الحياة ذاتها على كل مستوياتها وجوانبها .

لكن ليست كل قوى الدفع الكامنة في المقاصد تعمل للبناء ، هناك قوى لاتعمل الا للهدم ، وهى القوى التى ترتكز عليها « إرادة الفشل» وكما أن ارادة النجاح هى الارادة التى تعمل من أجل تحقيق غايات الوجود الكبرى وإنجاحها . فإن إرادة الفشل تعمل من أجل هزيمة الوجود وتقبل تلك الهزيمة كما لو كانت قدراً لا مفر منه ، إنها الارادة التى تدفع المرء إلى الاستكانة للفشل وتبرير التكاسل والخمول والخور والضعف . وتقدم المبررات اللازمة لذلك، بداية من القدر الى سوء الحظ أو سوء الظروف أو ضعف الامكانيات .

والواقع أن « إرادة الفشل » نوع من مقاومة المخاطرة والمغامرة التى تعرضنا لها « إرادة النجاح » فمن النفوس من يستسلم « لإرادة الفشل» ويترك نفسه لحياة هى أقرب لحياة الحشرة ، فليس لحياته من الغايات سوى الغايات البيولوجية والوسائل التى تساعد على تحقيق الغايات البيولوجية اقتصاديا . وليس استسلامه عن عجز أو ضعف أو قلة في المواهب والإمكانيات بل عن : إرادة للاستسلام للفشل وحسب .

والجهد الذى يبذله البعض في « إرادة الفشل » يجنبها الجهد الاكبر الذى ينبغى أن تبذله « إرادة النجاح» أما ما يجعلنا نغلب إرادة على الأخرى ، إما الفشل وإما النجاح، فهو الشخصية ووعيها ومستوى النضج الذى بلغته اذ أن مستوي الوعى هو الذى يحدد الغايات الكبرى للوجود، والغايات تختار من القوى مايصلح لتحقيقها. فإذا كان اختيارنا هو« النجاح » فان تصميمنا (إرادتنا) سيكون حتما للنجاح والعكس صحيح .

هناك إذن ذلك الصراع الدائم بين إرادتين في الانسان ، الأولى« إرادة النجاح» والثانية « إرادة الفشل » والحق أن مصير الانسان ومستقبله يظل مرتهنا بنتيجة هذا الصراع وبالآثار المترتبة على حسم هذه المعركة اما لصالح إرادة الفشل أو لصالح ارادة النجاح، فالإنسان لايكون مالكا حريته بحق إذا لم يتمكن من تحقيق ذاته أي إذا لم يتمكن من تحقيق النجاح، ومن إحراز مستوى متقدم من الوجود الانساني . أي انه لن يكون حراً أو موجودا إنسانيا بحق الا اذا انتصرت في النهاية « إرادة النجاح » .

إن « إرادة النجاح » تشى بأن للحياة من الاهداف ما تقصد إلى تحقيقه .

وعناصر الحياة الناجحة – بالطبع – هى الصحة، والمعرفة ، والنشاط، والوقت والمتعة . ويقتضى النجاح الشامل ان نحقق نجاحنا على كل تلك المستويات دون أن نهمل أيا منها ولو أنك تساءلت عن قيمة الحياة أو معناها أو طعمها إذا انت اسقطت من حسابك أحد تلك العناصر لوجدت ان خللا عظيما قد اصاب « تصور الحياة» الناجحة .

تصور الحياة – مثلا – بلا صحة ، أو بلا معرفة ، أو بلا نشاط ، أو بلا متعة، أو بلا عمل، فماذا تجد؟ لن تجد سوى حياة مريضة ، ترسف في أغلال عبودية الجهل ، أو الخمول والفاقة، أو الكآبة والملل .. ومثل تلك الحياة لا تطاق ولا تستطعم ولا يهنأ بها الانسان أبدا لأنها بلامعنى وبلا قيمة ولا هدف .فاذا كان قوام الحياة نفسه يتركب من تلك العناصر التي يجب علينا أن نحقق أوفر قسط من النجاح فيها فانّ علينا ان نوجه « إرادة النجاح » في نفوسنا للعمل على تحقيق هذا الهدف .

وما أحوجنا اليوم أكثر من أي يوم مضى الى بعث تلك الإرادة في نفوسنا، فنحن نحيا على أمل النهوض بمجتمعنا منذ نشأة الدولة الحديثة في مصر على أيام « محمد علي » .. ولكن كثيرة هى المنعطفات التى انحرفت بمسار مشروع النهضة حتى أبعدته عن هدفه، وكثيرة هى الهزائم والنكبات التى حاقت بنا منذ ذلك الحين والى وقتنا هذا فحالت بين تطورنا الاجتماعى وشوهت تركيبة مجتمعنا حتى غدا عاجزا عن التحرر وامتلاك «إرادة النجـــــاح».

وفي ظنى أنه لم يعد كافيا أن نصمم لأنفسنا برامج النهضة دون أن يوجد «الانسان» الذى نمت في نفسه بالفعل « إرادة النجاح » وإنى اعتقد مؤمنا ان بعث تلك الإرادة من أهم ما يجب وضعه في مقدمة اهتماماتنا في شأن النهوض بالمجتمع وحياة الإنسان المصرى .

الإنسان صانع النهضة، لابد من إعادة بعثه وبناء مفاهيمه ورؤاه وثقافته ، لابد من تربية جديدة تنهض على أسس من تطوير التعليم ، لابد من تحرير

وتحرر إذا أردنا أن نبعث في ذلك الانسان ما نطلق عليه مسمى الإرادة الحرة .. إرادة النجاح .. إرادة الحياة .

وليس من شك أن حياة الفرد تنطبع بطابع الحياة الاجتماعية ، فاذا كان مشروع نجاح الأمة متعثراً فليس من شك - أيضا - في أن أثر هذا التعثر سوف ينعكس على حياة مجموع أفرادها . فاذا كان لنا ان نحلم بمشروع لتجاوز مأزقنا التاريخي والواقعي حتى نتمكن من العودة الى المساهمة في صناعة الحضارة وصياغة وتشكيل الحاضر والمستقبل . فليس لنا ان نحلم بهذا المشروع قبل أن نعد القوة البشرية اللازمة لتحقيقه بالفعل وتجسيده في الواقع ، اذ القوة البشرية الحية هي التي تحقق انتصارا أو هزيمة المجتمع والحياة .

أنا وأنت وهم . نتحمل جميعا مسئولية هزيمتنا أو انتصارنا .

لكن ليبدأ كل منا ببعث تلك الإرادة في نفسه، وليحاول بعد ذلك بث حماسها الى المجتمع كله حتى ينبض بارادة النجاح. إذن .. إرادة النجاح ، الشامل، هي إرادة الحياة في الانتصار أي في تحقيق ذاتها ووجودها الحق المتكامل . وهي تتجه دوما نحو تحقيق هذا الهدف بوسائل ذاتية. أي اعتماداً على القدرات والمواهب والملكات الموجودة بالفعل لدى سائر الكائنات والموجودات لكن أعظم نجاح للحياة يحققه نجاح الانسان في تحقيق وجوده إذا أحسن استخدام مواهبه وملكاته وفقا لرقي وعيه أو انحطاطه .

إرادة النجاح إذن هي الإرادة التي تتضمن : إرادة الحياة وإرادة الموت معا، لأن إرادة النجاح في النهاية إن هي الا إرادة الوجود الحق، إرادة الكينونة المتميزة المتفردة المتفوقة .

فاذا اردت تقوية ارادة النجاح كان عليك أن توجه «الخيال» وتستخدم «الايحاء الايجابي» وإذا « أردت الاستسلام للهزيمة والخور والضعف. أي اذا اخترت الموت النفسي ، فما عليك إلا أن تستخدم نفس الوسائل الإرادية، الاختيارية » أي التخيل والإيحاء . لكن بطريقة عكسية ، أي بالطريقة السلبية .. فأنت كما تريد : تكون.

فاذا كانت إرادة النجاح ، الشامل ، هي إرادة الحياة في الانتصار، فنحن إذن في حاجة إلى أن نفهم الحياة ذاتها وأن نقف على غايتها وأن ندرك الوسائل التي تحقق بها تلك الغايات .. فما هي الحياة ؟

الفصل الثانى

ما الحياة

تعريف الحياة بخصائصها الطبيعية مثل : التكيف، والتمثيل ، والتوالد .. فالتكيف نتيجة للزمان، والتمثيل نتيجة للمكان، والتوالد نتيجة لاختراق الزمان للمكان.

فالحياة عند لامارك وداروين وإيمار هى : تقدم مستمر في اتجاه واحد هدفه التكيف والتقسيم المولد للتنوع. والتنوع - بدوره يولّد الصراع بين الأنواع، والصراع هدفه - أخيراً - التمايز والتكامل. يقول «هانز دريش» :

إن الحياة .. هى القدرة على إعادة الإحياء الذاتى ، أما « توماس إلكسذر» فيقول :

إن الحياة .. هى انبعاث الكيفيات الجديدة ، ويتوّج « برجسون» هذه الآراء بقوله : « إن مايواجهنا - بصدد الحياة - هو عدّة عوالم للواقع، تتبع عدة أنواع من النظم المختلفة .. هناك عالم الأشياء، وعالم الكائنات الحية، وعالم الأشخاص . ليس هناك مشكلة عامة خاصة بالنظام ، لكن هناك مشكلات جزئية خاصة بنظم جزئية » .

لكن قبل الخوض في مشكلة النظام الخاص (بالحياة الشخصية - الإنسانية) يجب أن نعرف أولاً كيفية انبعاث الحياة وتطورها في المادة من أشكالها وأنماطها الأولى وحتى ظهور الحياة الأخلاقية .

وهنا يقول « برجسون » في كتابه « الطاقة الروحية » :

«إن الأمور تجرى كما لوكان تيار كبير من الشعور يضم إمكانيات متداخلة من كل نوع، قد نفذ إلى المادة ، ليحملها على التنظيم وليجعلها أداة « حرية»

مع أنها « الضرورة» بعينها غير أن الشعور كاد أن يقع في الفخ. فان المادة تطوقه ، وتعوده على آلياتها هى ، وتلقيه في سبات اللاشعور الخاص بها، فالآلية واللاشعور هما القاعدة في بعض خطوط التطور ، لاسيما خطوط العالم النباتى . ولئن ظلت الحرية الملازمة للقوة التطورية تتجلى هنا فعلا بخلق أشكال غير متنبأ بها، متى تم خلقها. أخذت تتكرر آليا، والفرد فيها لايختار، ويتوصل الشعور. في خطوط أخرى إلى أن يتحرر تحرراً كافيا ليسترد الفرد عاطفة ما . وبالتالى قدراً من الشعور والاختيار، ولكن ضرورات الحياة تجعل من قدرة الاختيار مجرد حاجة مساعدة لحاجة الحياة وهكذا فإن الحرية من أسفل سلم الحياة إلى أعلاه، مغلولة بسلسلة، كل ماتستطيعه عليها هو أن تمطها وتوسعها . لكن بظهور الإنسان تظهر قفزة مفاجئة . ويتحطم الغل « القيد» ، فمهما يكون دماغ الانسان مشابها لدماغ الحيوان فإنه يتميز بهذه الميزة الخاصة وهى أنه يهيىء الوسائل لمحاربة كل عادة بعادة معاكسة. ومحاربة كل آليه بآلية معاكسة . وهكذا تستعيد الحرية ذاتها ، بينما تكون الضرورة في حرب مع نفسها . فترد المادة إلى أداة فحسب».

فاذا كان « الصراع » أحد القوانين الرئيسية للحياة فيجب ألا يفهم هذا الصراع خارج دائرة الحرية والضرورة، ويجب الا يكون له أية أهداف سوى تتويج التطور، تطور الحياة، بانتصار الحرية على الضرورة وهذا التتويج لايتم إلا في مستوى الحياة الإنسانية حيث تتعدد اشكال الشعور وترتقى عن سائر الكائنات الحية الأخرى .

انتصار الحرية على الضرورة إذن هو هدف الحياة التى تعمل - بتعبير برجسون - من خلال عوائق لا حصر لها ، على أن تحقق الفردية والتكامل ، حتى تنجز من الابتكار والجهد أكبر مقدار، وأغنى تنوع، وأسمى سمات. وعن تطور الحياة يقول برجسون في « الطاقة الروحية» أيضا :

« إن تطور الحياة من أصولها الأولى إلى الانسان، يبعث أمام أعيننا صورة من « تيار الشعور » ينفذ في المادة كأنه يريد أن يشق لنفسه ممراً باطنيا، فقام بمحاولات ذات اليمين وذات اليسار ، فاندفع كثيراً أو قليلاً إلى الأمام، وتحطم الصخر في معظم الأحيان، لكنه استطاع في اتجاه واحد على الأقل ، أن ينفذ، وأن يخرج إلى النور ، وهذا الاتجاه هو الاتجاه الذى يؤدى إلى الإنسان » .

إذن - وبتعبير برجسون كذلك - كان للحياة أمل أساسي أصيل لا يتحقق تحققه الكامل الا في المجتمع الإنسانى . ذلك إن المجتمع هو إشراك للطاقات الفردية يستفيد من جهود الجميع ، ويسهل الجهد على الجميع وهو لا يستطيع أن يبقى الا إذا أخضع الفرد له ، كما لا يستطيع أن يتقدم الا إذا تركه حراً . وهذان الشرطان المتناقضان يجب التوفيق بينهما » .

والحياة ذاتها - بطبيعتها - في المجتمع الإنسانى ، هى التى تتكفل بالتوفيق المطلوب، إذ كما يقول « برجسون » :

« لدى الإنسان فقط، ولدى أفضل البشر خاصة، تسير الوثبة الحياتية قدما ، دون أن يعوقها عائق، وتبث في هذا الأثر الفنى الفريد الذى هو الجسم الإنسانى، الذى خلقته في مسيرتها ، تيار الحياة الأخلاقية الذى لايتوقف

عن الخلق . إن الإنسان الذى يتكىء دوما على مجموع ماضيه حتى يقوى فعله في المستقبل هو ظفر الحياة الكبير، لكن الإنسان الذى يكون فعله، القوى في ذاته، قادراً على أن يقوى كذلك سائر فعل الناس ، ذلك الإنسان هو الإنسان الخالق « المبدع » إلى أعظم حد » .

إذن فالتطور وهو ناموس الحياة، كان يهدف منذ البدء إلى تحقيق غاية هى الوجود الإنسانى باعتباره في نمطه الاجتماعى والأخلاقى أرقى مايمكن أن تتوج به الحياة ذاتها وما تتخذه لها من أهداف وما تحققه من انتصارات .

لذا فإن « تحقيق الذات » هو هدف حياة الكائن البشرى ، وكما يقول « إريك فروم» :

« إن وجود الكائن ، وانطلاق قواه المميزة له، شيء واحد، فجميع الكائنات لديها ميل الى تجسيم إمكاناتها التى تتميز بها، ومن ثم فيتعين أن يفهم هدف الإنسان من الحياة على أنه السعى لتحقيق انطلاق قدراته تبعا لقوانين الطبيعة».

ويقتضى تحقيق هذا الهدف أن يفهم الإنسان نفسه وغاية وجوده، ثم هو لن يستفيد من هذا الفهم إذا لم يستخدم قواه وملكاته لتحقيق كافة إمكاناته في إبداع وجوده الشخصى المتميز .

* * *

ماهى إذن أفضل السبل « لتحقيق الذات » ؟

الجواب هو : ان علينا أولا أن نحدد غاية لأنفسنا في الحياة وكلما كانت الغايات عظيمة جاهدت أنفسنا جهادا عظيما لتحقيق طموحها، وكلما كان الجهد الذى تبذله عظيما حققت الإرادة مدى من النجاح أوسع وأعظم فالمعنى هنا هو أنه يجب علينا أن نحيل حياتنا الى مشروع هادف من الكفاح هدفه الوحيد هو « النجاح» أى « تحقيق الذات » .

إذن ليس من سبل الى تحقيق الذات سوى العمل من أجل تحقيق الغايات الكبرى للوجود. وهى غايات تتضمن بالطبع تنمية قوى الوجود الشخصى كالوعى والموهبة والإمكانات المادية والمعنوية التى لامفر من تنميتها لتحقيق مستوى من الرقى النفسى والعقلى لو أمكننا توفيره لأصبح تحقيق النجاح في مختلف ميادين الحياة العملية أمْرًا مؤكدًا ولاسبيل إلى الشك فيه .

لابد إذن من بذل الجهد لتحقيق الذات. فالحياة ذاتها طاقة ذات مسار هادف يتجه نحو غايات معلومة، وطاقة الحياة التى تسرى فينا يجب أن يكون لها هى الأخرى نفس المسار ونفس الغايات ولكى نحدد مسارا وهدفا لطاقتنا لابد أن نبذل من الجهد ما يلزم لبلوغ تلك الغايات .

والواقع أن الكثير من الناس يهدرون طاقاتهم عبثا إما بالاستسلام لأوهام لاوجود لها مثل الحظ والقدر وكل مايصلح ان يكون مشجبا يعلقون عليه رغبتهم في عدم بذل الجهد وعدم النجاح، أى رغبتهم الدفينة في الفشل، لأنهم في الواقع مرضى « ماسوشيون» يستعذبون الألم والشكوى ، فيخلقون بأنفسهم لأنفسهم أسباب الشكوى والألم والشقوة، وإما يهدرون طاقاتهم

بطرق مختلفة أخرى منها الخوف من الالم أي أنهم يخشون مواجهة الحياة وخوض معركتها فيهدرون طاقتهم ووقتهم في التافه من الاعمال .

لكي نحقق نواتنا إذن لابد من بذل الجهد، ولابد من تحديد الأهداف والغايات والعمل على بلوغها ، ولابد من القضاء على كافة المخاوف التى من شأنها أن تقعد بنا في صفوف أصحاب الهمم الضعيفة والطموحات الصغيرة، كما لابد لنا من التصالب مع الحرص على الا يصل هذا التصالب الى درجة استعذاب الالم إذ أن استعذاب الالم أو الخوف منه، كلاهما معا من الامراض التى يجب مكافحتها والقضاء عليها .

فإذا تجنبنا المرض وقفنا على أول طريق الصحة، والصحة الوجودية معناها تحقيق نمط من الوجود الحى المبدع الخلاق المتجدد على الدوام للذات وليس من نجاح ابلغ للذات من أن يصل الإنسان بذاته الى درجة من الرقى والنضج على مستوى العقل – النفس (الوجدان).

ذلك أن التوجهات والاختيارات الصحيحة ، والغايات الكبرى والهمم العظمى لاتكون إلا لمن حقق رقيا في عقله ونفسه ، والطريق الى الرقى العقلى هو الثقافة التى ترتقى بالوعى وتتقدم به، وتجعله وعيا مبدعا منتجا لا مستهلكا . أى الثقافة الراقية التى تقدم الجديد وتنقد القديم وتهدم مالا يصلح منه للعصر . ويجب لذلك أن تتنوع مشاربنا الثقافية وأنواع معارفنا وأن نهتم بالأفكار والفلسفة والعلوم والفنون .

أما النفس فعلينا أن نعمل على ترقيتها بتطهيرها أولا، ثم بتجنيبها كل ما يمكن أن ينحط بها من أنواع السلوك، وستؤدى الثقافة العليا المتنوعة

المتعمقة هنا دورا أيضا ، إذن كلما اتسعت ثقافة الانسان حاولت نفسه أن تنهج في سلوكها بما يتفق مع قيمه ومثله وأفكاره وثقافته العليا .

وكما تضطر الحياة الى مواجهة الصعاب والعقبات وتخترع السبل للتحايل والانتصار من أجل بلوغ غايتها عليك أنت أيضا أن تتعلم كيف تواجه الصعاب والعقبات ، بمواجهة الحقائق، وان تعمل على تنمية قدرتك على مواجهة المشكلات وتوقعها حتى قبل وقوعها، فالانسان الحي يسبق الزمن الى غاياته ، ولاينتظر الاحداث لأنه يتوقع الممكن أو المحتمل منها، ويدرج كافة الممكنات والاحتمالات في خططه المستقبلية فاذا وقع ماهو منتظر كان على استعداد به بالحل المناسب، لذا لاتستغرق المشكلة كثيرا من الوقت أو الجهد الذى يجب أن يبذل في تحقيق غايات أخرى أو منافع هامة.

الانسان الحى ايضا يتعامل مع الفشل ذاته كما لوكان مشكلة يجب توقعها ومعالجتها، ولذلك فهو يبحث لها عن حل في نفس الوقت الذى يبذل فيه جهوده لتحقيق النجاح، لان الفشل إذا وقع بالفعل. لا يجب أن يستمر، إنه حالة مؤقتة . والخروج من تلك الحالة يستوجب البحث عن اسباب الفشل لعلاجها سواء كانت ذاتية أم موضوعية ، سواء كان الشخص نفسه هو سببها أم كانت الظروف الخارجية هى السبب .

وكثيرا ما اخطأت الحياة. لكنها في كل مرة كانت تعمل على تصحيح الخطأ، لأن كل خطأ ينحرف بها عن المسار المحدد لغاياتها، وتصحيح الخطأ لابد منه للعودة مرة أخرى الى نفس المسار والهدف، معنى ذلك أن الخطأ محتمل والفشل وارد، لكن التصحيح واجب وضرورة حتمية. لأن تراكم

الاخطاء دون العمل على حلها يعني الابتعاد رويدا رويدا عن المسار الطبيعى للحياة وأهدافها .. «الرقى».

ولما كان هدف الحياة هو « رقى الانسان» فليست كل حياة بشرية «حياة انسانية» الا بقدر ما يحقق الكائن البشرى - بالفعل - في نفسه - ومجتمعه - من معانى وقيم الانسانية الراقية .

والكائن البشرى لن يحقق تلك المعانى والقيم الا عندما يغير افكاره السائدة عن وضعه في الحياة، وقبل ذلك مفهومه عن الحياة ذاتها، ثم مفهوم « الفرد » - الانسان ، ويعرف السبل الى ان يكون هو نفسه ذلك الانسان . ثم يبدأ بملء الحياة بالمعانى الانسانية عبر سلوكه هو وثقافته .

والحياة لاتملأ بتلك المعانى الا إذا جعلها الانسان ثرية بالجهد من أجل تحقيق غاية عظمى، تحقق النفع للعالم كله. أو للمجتمع ، أو للأسرة. على ألا يكون هذا النفع نفعا محدودا تتطلبه الواجبات، على أن اعظم نفع تؤدية للعالم هو أن تجعل من حياتك وأفكارك « درسا » يتعلم منه غيرك كيف ينجح ويسعد وتكون لحياته قيمة وأنت لن تفعل ذلك الا إذا وضعت دائما نصب عينيك « صورة مثالية» لانسان بلغ من الرقى مبلغا يحتذى به ثم عملت بعد ذلك على بلوغ ما بلغ هذا الانسان من الرقى .

على ان المطلوب هنا ليس التقليد، ان الحياة في سيرها إلى غاياتها وأهدافها . تجرب حريتها وقدراتها وتنميها من خلال استخدامها ، وهى تبتكر، تخلق وتبدع، وأنت ايضا عليك أن تفعل ماتفعله الحياة حتى تتمكن من بلوغ غايتك وهى تلك الصورة المثلى للإنسان وانت لن تبلغها الا بجهدك وعملك

أنت، لن تبلغها الا بمواجهة الحياة والتغلب على مافيها من مصاعب لتكسب ذاتك ونجاحك وسعادتك في النهاية .ولاشك عندئذ ان نجاحك وانتصارك هو نجاح وانتصار الحياة ذاتها في تحقيق غاياتها، إذن لا نبالغ إذا قلنا ان الذين يستسلمون للفشل، ويتركون أنفسهم فريسة للجهل والفقر والانكسار ولا يضعون – لنفس تلك الاسباب – أمام أعينهم هدفا للحياة، أقول لا ابالغ اذا قلت ان هؤلاء لايرتكبون جرائمهم في حق وجودهم فحسب بل هم ايضا يرتكبون جريمة أبشع في حق الحياة ذاتها .

بان هزيمتهم هزيمة للحياة، وتخلفهم تخلف للحياة ، ولايظن أحدكم أن الهزيمة أو التخلف مسألة شخصية يتحملها من يرتضيها لنفسه وحده إذ ليس الانسان وحيدا في هذه الحياة، إنه كائن اجتماعى ينعكس رقيه أو تخلفه على مجتمعه، أي على أقرب الناس إليه. أسرته، أهله وأولاده وشريك حياته، وعمله وانتاجه وأصدقائه. أى ان الانسان المتخلف المنهزم لا ينتج في المجتمع سوى التخلف والهزيمة عبر سلوكه في التربية أو العمل، والعكس صحيح .

من هنا يمكن أن تكسب الحياة بوجودك. إذا جعلت لحياتك قيمة، ويمكن أن يخسر الوجود بوجودك إذا لم يكن لوجودك قيمة، لابد إذن لحياة الإنسان من أن تجد نفسها، في كل لحظة، إزاء هذا الاختيار الحاسم: فإما «خواء» .. وإمـــا «مـلاء».

فالحياة الممتلئة : حياة إنسانية، ومن ثم اجتماعية راقية تمثل فيض الوجود الحقيقى بطبيعته القوية الخصبة . وأما الحياة الخاوية فهى : الحياة اللائقة بالمستوى الأدنى من الوجود الانسانى ، وهى الحياة المنهزمة.

الخاضعة للضرورة ، السادرة في قيود العادة والمادة والحتمية والتكرار والآلية . انها الحياة الخالية من الإبداع الذاتى والتجدد الدائم والابتكار والحرية والاختيار .

فاعرف نفسك، تعرف ماتريد، تصنع حياتك كما تريد ، فالحياة : «تصوّر» يحدد الشعور، والوعى هدفه .. ويتجه الإنسان نحو هذا الهدف بإرادته الحرة مبدعا لحياته وفقا لتصوّره واختياراته وقيمه ومثله .

* * *

الفصل الثالث

هكذا نحيا

عندما يفكر المرء في الحياة بعمق يمكنه أن يكتشف أن الكثير من ظواهرها خادع.

فهي لاتدل – في ذاتها – على حقائق مباشرة، فهذا الرجل الناجح – من منظور العصر – ماديا ، المشهور المتألق ، المتأنق، والذى يملك كل شيء ولايكاد يحتاج الى شيء تجده دائم الشكوى والتبرم والضيق والتوتر لانه يشعر في قرارة ذاته بعدم السعادة الى حد التعاسة .

وليس في ذلك من عجب – لأن هذا مثل هذا الرجل لم يختر من الحياة الا مظاهرها البراقة وقشورها التى تطفو على السطح فهو لم يتعمق خبرة العيش، ولم يعمق ذاته أو يوسع أفقه فأصبحت حياته ضحلة مقصورة على العمل والمظاهر، لكنها خالية من كل معنى لذا فهو يحس شعورا خفيا بالنقص واللا معنى والتعاسة ولعل اكثرنا لا يفكر الا بطريقة هذا الرجل التى لاتهتم بشؤون الحياة الحقة. لذا فأغلبنا يظن ان السعادة هى تلك المطالب الشهوانية، أو المظاهر البراقة التى تغطى أسطح اجسامنا الخارجية، والواقع أن المظاهر والشهوات غايات حيوانية نبذل الكثير من الجهد لإشباعها. لكننا مع ذلك لن نلبث أن نشعر بخواء الذات الانسانية والتعاسة الحقة .

معنى هذا أن السعادة الحقة ترتبط بجوهرنا وحقيقتنا الانسانية العليا اكثر مما ترتبط بغرائزنا أو أجسامنا أو مظاهر حياتنا السطحية وان « الأنا » الذى سعى لبلوغ السعادة هو في داخلنا ، في العمق البعيد الذى يجب أن

نكتشفه ونسبر غوره ونتتشله من الغرق في الظواهر الخادعة أو الحياة الزائفة .

وعلى النقيض ممن تخدعهم الظواهر، نجد من يتركون حياتهم للانحطاط والتدهور تحت شعارات لا قيمة ولا معنى لها مثل « التواضع» أو « الرضى » أو « القناعة » وهى شعارات لايجنون منها الا إذلال كرامتهم الانسانية وسحق نبض الوجود الحى في حياتهم تحت وطأة الفقر والعوز والاحتياج الذى يجعلهم دائما نهبا لمشاعر النقص والضعة والتسفل .

وليست الحياة هى تلك القشور أو المظاهر البراقة، كما أنها ليست القناعة ولا الرضى ... نعم ليس أحتكار هذا الاسلوب أو ذاك في الحياة سوى اختيار لاواع للموت المقنع في الحقيقة .

ولعل اختياراتنا المقنعة للموت الوجودى هى التى تدفعنا الى الاستسلام لليأس والهزيمة أمام الكوارث فالحياة ليست نهرا متصلا من السرور والسعادة واللذة واللهو، إنما هى خليط من الكفاح والنجاح والبؤس والهزيمة .

ونحن جميعا نتعرض للمشاكل أو المصائب الكبرى ، سواء منا من ينجح أو يفشل ، فالحياة تناوب مستمر بين الفشل والنجاح، لكن الفارق الوحيد هو أن المتفائل الناجح لايستسلم بسهولة للمصائب أو الهزائم . ولا يجعل منها حجة يبرر بها رغبته في الركون والاستسلام للهزيمة والفشل .

واكثر من هذا فقد تكون المصائب ذاتها، والفشل ذاته، من أهم حوافز النجاح/ لما يمكن أن نتعلمه منهما من عبرة فهما بمثابة الدروس العملية التى يجب أن نستفيد منها لتقدمنا إذا قابلناهما بهدوء وروية وصبر وتفهم وصمود.

وهكذا يجب أن نحيا، في تعلم دائم من الحياة ومن دروسها وعبرها .

فالتعلم الدائم هو الوحيد الكفيل بأن يحيل كافة هزائمنا وخسائرنا، مهما فدحت، الى انتصارات ونجاحات ومكاسب مؤجلة.

كم من سلوك يسلكه تجاهنا الأصدقاء أو حتى الأقارب فيسبب لنا من الألم ما يحتفر بعمق في النفس وفي الذهن معا أمدًا طويلاً. وقد يتسبب مثل هذا الألم - لو عاقرناه طويلا، خاصة في الطفولة - في ترسيب مجموعة من العقد النفسية في ذواتنا .

لكن عندما نعى الأسباب الحقيقية التى دفعت ذوينا الى مثل هذه السلوكيات المؤلمة تجاهنا فاننا قد نلتمس لهم العذر في «الجهل» بالسلوك القويم سواء في التربية أو في العلاقات العامة، فهم قد نشأوا على انماط من التربية تغرس في نفوسهم المرض ويعود هذا المرض لتفرزه نفوسهم، في سلوكياتهم وعلاقاتهم - بعد ذلك - مهما كان اعتقادهم الشخصى في نضجهم أو مكانتهم الاجتماعية .

لكننا بكل تأكيد سنتعلم الا نؤلم من نحب في حياتنا المقبلة، مادمنا قد اكتوينا بنار الألم وذقنا مرارته، وسنتعلم كيف نربى أولادنا التربية العلمية الصحيحة ، ونوفر لهم البيئة الصالحة لتنمية ملكاتهم وقدراتهم ولتدريبهم على الحياة الممتلئة الحقة التى لم تتح لنا من قبل .

ولكى نحيا الحياة الحقة، اللائقة بإنسانيتنا الراقية المنشودة، لابد لنا من اختيار القيم والمفاهيم التى نشأنا عليها فهذه القيم هى بنت مجتمعنا ، وتعبر عن رؤيته للحياة ووعيه وضميره الإجتماعي العام، والمجتمعات كافة، أيا كانت،

في تغيير دائم ، وتتغير تبعا لذلك مفاهيمها وقيمها إما سلبا أو إيجابا . لذا تظل هذه القيم في حاجة الى معايير أرقى . هى معايير الضمير الفردى الذى يسمو في انسانيته على الضمير الاجتماعي .

وبالطبع يتطلب ذلك منا أن نعمل على تربية وتنمية الضمير الخلقى الفردى في أنفسنا، وهو ضمير مستقل عن الضمير الاجتماعى، لكنك لن تملك هذا الضمير ابداً الا إذا كنت ذا شخصية مستقلة لأن هذا الضمير الحي قد يرفض مسايرة المجتمع في قيمه السلبية بل قد يذهب الى حد التنديد بالضمير الاجتماعى أيضا .

ولا شك أن استقلال الشخصية من أهم ركائز الإبداع والابتكار في النفس الانسانية، وهى ملكة تساهم في تحقيق النجاح الى اقصى حد ممكن . وتتجلى اكثر ما تتجلى في ميدان العمل. وعمل المرء هو أول ما يقلق بشأنه وشأن النجاح فيه .

لكن – وكما يؤكد وليم سرجيوس – تأكد أن « لكل انسان في الحياة دعوة، لو أنه استمع اليها ولباها ، لنال توفيقا ونجاحا وسعادة إن أمامك اتجاها واحدا تجد فيه المجال واسعا والباب مفتوحاً .

وهذه مواهبك تهمس في داخلك داعية اياك إلى ذلك الاتجاه لتبذل جهدك الناجح الموفق .ها سفينتك في نهر، تجد فيه العوائق في كل النواحى الا ناحية واحدة – قد خلت من كل عقبة وعائق – فلو اتجهت إلى هذه الناحية لشقت طريقها خالصا فوق الأعماق .. وهنا لا يزاحمها مزاحم ولاينافسها منافس .

إذا كنا نمارس العمل الذى أعدتنا له الحياة، فإن كل الأشياء التى تخصنا تأتى الينا، وعندئذ تكون أفكارنا وعواطفنا ومشاعرنا حلفاءنا، فإذا بالتفكير الصائب يفتح بوابات الذكاء والنبوغ والقدرة فتمتلىء قنوات العمل بتيار النجاح الجارف لكل عقبة وعائق » .

إذن فحياتنا النفسية هى التى تقود حياتنا العملية .

والحياة النفسية هى نتاج أفكارنا وملكاتنا وميولنا . بالإضافة الى أفكارنا عن العالم والحياة والغير، وأغلب منغصات حياتنا ومايصيبنا فيها من الأمراض أو المشاكل أو الآلام انما ينشأ من أنفسنا، أي من تلك الأفكار. أفكارنا السلبية الخاصة بعلاقتنا مع أنفسنا من جانب، أو علاقتنا مع الغير خصوصا والحياة عموما . من جانب آخر .

وكلما كانت أفكارنا عن أنفسنا وعن العالم والناس ايجابية متفائلة، كانت حالتنا النفسية أقرب إلى الصحة والاستقرار والاطمئنان والسعادة، والحق أنه لانجاح في غياب الصحة النفسية .

وفي كتاب « علم النفس في خدمتكم » يورد « وليم سرجيوس » الأسئلة التالية قائلاً .

إذا أجبت بنعم على ستة من هذه الاسئلة كنت شخصا طبيعيا وإذا أجبت بنعم على عشرة كنت مصدر تعب للغير وإذا أجبت بنعم على اكثر من عشرة كنت مصدر نغص لنفسك أيضا، فما أجدر هذه الاسئلة بالعرض هنا :

١ – إذا قررت القيام بعمل معين هل تقاوم من يحاول أن يجعلك تغير قرارك؟

٢ – هل يصفك الناس أحيانا بأنك عنيد أو بما يدل على انك لاتسلم للغير بسهولة؟

٣ - هل أنت حريص على الا تدع أحدا يحاول أن يخبرك كيف تؤدى الأعمال؟

٤ - هل تستاء من مشورة تقدم اليك دون أن تطلبها ؟

٥ - هل تتضايق من أن يقاطع أحد انتظام عاداتك ؟

٦ - هل تقدم احيانا على عمل شيء تعرف أنه خطأ لمجرد أن ترى الغير أنك صاحب شأنك ؟

٧ - هل ترفض تغيير طريقتك في العمل أو الكلام إذا انتقدهما أي شخص ؟

٨ - هل هناك اساءات وجهت اليك في الماضى وانت غير قادر على الصفح عنها ؟

٩ - هل يطول عليك الوقت للتخلص من غضبك من شخص ما غضبت منه ؟

١٠ - هل يلذ لك أحيانا أن تقاوم شخصا وتثبت أنه مخطىء ؟

١١ - هل تثابر على التردد على الناس الى أن يعملوا ما تريدهم أن يعملوه ؟

١٢ - هل ميلك يوقعك في المشاكل المتكررة مع الناس؟

١٣ -هل تميل إلى إخفاء أمور كثيرة عن عائلتك أو أصدقائك ؟

١٤ - هل تظل محاولا التخلص من خطأ يستمر رغما عن مجهوداتك ؟

١٥ - هل تتردد احيانا في الارتباط مع أحد خشية أن يحاول قيادتك ؟

١٦ - هل تشعر أنك محاصر ومعوق عن العمل عندما يهتم بك أحد اهتمامًا كبيرًا ؟

* * *

إن موقفنا من الحياة هو مجموع أفكارنا ومعتقداتنا وميولنا .

وأغلب الأفكار تتضمن احكاما تقويمية . إما بالخطأ أو الصواب، الخير أو الشر، الطيب والردىء لكن من أين لهذه الاشياء بتلك الطبيعة؟ هل هي كذلك بالفعل في الواقع ؟

الإجابة الحقة على هذا السؤال يقدمها الشاعر الانجليزي وليم شكسبير على لسان بطله الشهير « هاملت» وهى انه : « لايوجد شىء طيب أوردىء الا ما جعله التفكير كذلك» .. إذن فليس من شك في صمت الطبيعة والأشياء، إنما نحن الذين نهب الحياة لتلك الاشياء عندما نسقط عليها معانى أفكارنا فتسرع اليها الحياة وتتخللها بتخلل المعنى لها .. نحن من نملأ الحياة بمعناها الذى نريدة، ونحن من نصوغ العالم كما نصوغ حياتنا ونصوغ أنفسنا بأفكارنا، إذن فليس من أحد سوانا يتحمل عنا مسئولية الفشل أو النجاح .. هكذا يجب أن نؤمن وهكذا يجب أن نحيا .

« ومن ثم ينبغى لنا أن نحيا بعقولنا في التصورات التى نريد أن نجعلها حقائق ولذا يتيسر لنا أن نستأصل من حياتنا كل النقائص الجسمية والعقلية والأدبية، إذا مانحن داومنا على تصور الكمال في مختلف صوره المادية والمعنوية، لأن هذا التصور يضع أمامنا نموذجا دائما للكمال الذى نسعى مكافحين في سبل تحقيقه، ويلهمنا بالرجاء والثقة بما نبذله من جهود لتحقيق هذه الغاية .

اننا إذا تعودنا التفكير في الأمور كما نود أن تكون أو كما ينبغى أن تكون، واعتقدنا اعتقاداً راسخا بأنه لن ينقصنا شىء من الخير فإننا نكفل

بهذا انموذجا واضحا تعمل قوى حياتنا الداخلية على ابرازه في عالم الحقيقة والواقع. فاحتفظ في عقلك دائما بصورة الرجل الذى تريد أن تكونه في الحياة، وداوم على تصور نفسك كفئا، كاملا، صحيحاً، واستبعد كل صورة من صور النقص، ولاتسمح لنفسك بأن تمعن التفكير في نقاط ضعفك أو نقائصك أو نوبات فشلك .

إن كل حياة تتبع تصورها وتتلون به وتتخذه صفة لها . بل تصبح شبيهة به، ويمكنك أن تطالع خلق الانسان إذا عرفت تصوره، لأن التصور هو الذى يسيطر على حياته دائما .

فإن كنت حالما فلا تترك أحلامك لمجرد أن بدا لك أنها لم تتحقق. أو لأنك لاترى سبيلاً لتحقيقها ، بل تمسك بها واحتفظ بها نيرة مضيئة. ولاتدع سحب الحياة تحجبها عنك بل عش في الجو المنعش لأطماعك واستلهم الكتب التى تثير مطامحك وتقربها الى الناس الذين انجزوا ماتحاول انجازه واجتهد أن تتشرب منهم أسرار نجاحهم» [١] .

هكذا يجب أن نحيا، وهكذا يجب أن نخلق وسائل الحياة الراقية التى نحلم بها ونهيىء المناخ المناسب الذى يساعدنا على تحقيق ذاتنا ، أي يساعدنا على تحقيق غاية الحياة .

---

(١) : وليم سرجيوس : « علم النفس في خدمتكم »

الفصل الرابع

هكذا تنجح

أطلب تجـــد ..

جملة لا تختلف كثيراً من حيث المضمون عن جملتنا التى ذكرناها من قبل والتى تقول : « كما تريد .. تكون » فأنت عندما تجعل النجاح مطلبا لابديل له ولا محيص عنه فلاشك انك سوف تجدّ في طلبه وتبذل أقصى الجهد من أجل ذلك .

لكن يجب مع هذا أن نتعلم كيف نطلب غاياتنا ونحقق أهدافنا، فالبعض منا قد يطرق أبواب النجاح ويظل يطرقها أمدا طويلا دون أن تفتح له ولا أظن أنها تفتح أو تستجيب مهما بالغ في الطرق أو طال به أمر الانتظار . ذلك أنه انما يطرق الأبواب في استكانة وضعف وانكسار .

والاصرار في الطلب واجب، لاشك في ذلك ، بل حتمية وضرورة لكن إصرار القوة والتصميم والارادة والجرأة والإقدام والشجاعة والمقدرة والثقة والموهبة والذكاء يختلف كثيراً عن إصرار الاستكانة والضعف والتردد والخوف وعدم الثقة بالمستقبل وضعف الايمان بالنصر والنجاح ؟

أطلب النجاح بقوة وجرأة .. أطلب تعط .. وافعل تجد ..

اختلف عن غيرك تتميز، وان بالغت في التميز جرك ذلك الى الابتكار فإن ابتكرت ابتدعت، وإن ابتدعت نجحت بالجرأة وتقدمت .

وبالجرأة والإصرار لن تلتفت الا لهدف واحد هو النجاح. مهما كانت الانتقادات الموجهة لك عن مخالفتك للمألوف فمثل هذه الانتقادات لاينبغى

الاهتمام بها أو الالتفات إليها لأنها لن تفيدك في تقدمك أو نجاحك وتميزك فهي تهدف الى عرقلة نجاحك واعادتك الى حياة الخمول التى يحياها القطيع حتي تظل مساويا للجميع حتى في الفشل والطموح المحدود العاجز والعقل المجدب والذات الخربة الضحلة .

لا تلتفت للنقد الهدام، لكن استفد من كل نقد بناء . ولا تقم علاقة مع من لاهدف لهم في الحياة ، لكن لا تنعزل تمامًا عند الناس واحرص كل الحرص على كسب مودة الجميع .

إن الذين يستسلمون للهزيمة، أويقنعون بالقليل من فتات الحياة من أصحاب الهمم الضئيلة، يجدون دائما مايبررون به لأنفسهم أوضاعهم في الحياة. وليست تلك سوى حيلة مكشوفة للتملص من مسئوليتهم عن خلق واختيار هذا الوضع السيىء فاحرص على ألا تقتل في نفسك روح المقاومة للفشل والهزيمة والاستسلام والخمول والخوف من الخطأ أو الغير أو المستقبل أو الموت. بأن تتواكل مخترعا لنفسك الحجج التى تبرر لذاتك حياة التنازل عن حرية تقرير مصيرك وصياغة مستقبلك وتشكيل حياتك بإرادتك .

انك سوف تنجح حتما لو حاولت أن تجعل حياتك حية حقا .

والحياة الحية ترتقى بغاياتها واهتماماتها فوق الغايات التى تعتبر أقصى غايات الحياة النباتية أو الحيوانية . أعنى غايات الأكل والشرب والنوم والزواج والموت ، فتلك حياة قانعة هادئة لاتكدرها مشاكل العالم . لأن وعيها لم يرتق الى مستوى التفكير في أبعد من الغرائز التى تباشر بها الحياة اليومية المبتذلة .

ونحن نشترك مع النبات والحيوان في كل تلك الصفات والأعمال السالفة، لكن هذه الغرائز. وبالأحرى إشباعها اليومى هو أقصى غايات الحيوان والنبات أما نحن بنى البشر فإنه يجب علينا لكى نحقق لأنفسنا المستوى اللائق من الوجود الانسانى أن نرتقى بغاياتنا واهتماماتنا عن تلك الغرائز، وأن نحيل تلك الغرائز ذاتها الى مجرد وسائل نستعين بها على تحقيق هدفنا النهائى وهو النجاح في تحقيق ذلك المستوى من الكمال الوجودي. ولايهم – هنا – من أنت ، ولا مامهنتك، ولامركزك الاجتماعى الحالى،، فإن مطلب الكمال الوجودي ، مطلب انسانى عام يجب أن يتطلع اليه البشر جميعا .

ومعنى أن تطلب هذا الكمال وأن تسعى الى تحقيقه هو أنك تريد أن تكون لك في نفسك قيمة . ولحياتك معنى ، والإنسان نفسه هو صانع القيم الذى يهب كل شىء في الوجود معناه وقيمته، إذن فمهما كان عملك متواضعا فإنه يمكنك أن تجعله ذا قيمة كلما توسعت في اتقانه بهدف النجاح ، ولايهم مركزك الاجتماعى الحالى. فانك سوف تسعى بالفعل لتحسين هذا المركز بالاصرار ومواصلة الجهد.

لكنك قبل بدء هذا السعى لست شيئا سوى ذاتك كما يقول « سارتر» أي أننا لا نكون ما نتمنى ان نكونه الآن، نحن لسنا سوى مانحن عليه بالفعل في تلك اللحظة نحن مجموع أعمالنا وأفكارنا التى تجسدت بالفعل في الواقع أما افكارنا عن المستقبل وأحلامنا وأمانينا فهى مجرد امكانات قد تتحقق أولا تتحقق . وهى لذلك لا تدخل في صياغة قيمتنا الحالية في العالم رغم مالها من أهمية في دفعنا وتحريضنا على النجاح .

إذن فالاحلام والامانى وحدها لاتكفى لتحقيق النجاح إذا لم تقرن بالعمل والكفاح .

وعلى قدر الجهد والكفاح يكون النجاح ولابد لهذا الجهد المبذول من خطة أو برنامج لتنظيم النشاط حتى لانهدر جهودنا فيما لايجدى ، أو حتى نوظف هذا الجهد توظيفا صحيحًا معينا ومرهونا بزمن محدد لتحقيق طموحنا معنى ذلك أن اليقظة الفكرية لابد من أن تقود مسيرة كفاحنا بحيث لانغفل لحظة عن الهدف النهائي ، فاذا نحن أهملنا أفلته من بين ايدينا زمام الحياة واصبحت الحياة هى التي تقودنا الى حيث تشاء وليس لنا عندئذ الا ان نرضى ما تحتمه الظروف وتمليه علينا الأقدار .

ويهمنا أن نقرر هنا أن المعنى المألوف السائد للنجاح اليوم ليس هو مقصودنا . ونعنى المعنى المادى للنجاح، فالثراء المادى ليس سوى أحد جوانب النجاح، على أن النجاح الاشمل والأعظم هو مايشمل كافة جوانب الحياة.

ولن يرتقى فهمنا للنجاح ليصل الى هذا المعنى إذا لم تكن غاياتنا الكبرى أعظم من مجرد تحقيق النجاح المادى. وليس أعظم – لدى الانسان – من غاية تحقيق ذاته في مثال أعلى يتطلع اليه ويعكس مواهبه وملكاته وعظمته وتفرده .

وقد يقول قارىء ولكن معيار العصر للنجاح هو المعيار المادى وقليل من الناس من يهتمون بما ندعو اليه من النجاح الشامل بسبب كثرة مشاغل الحياة ومتطلبات العيش التى ترهقنا وتشغلنا حتى عن أن نفكر في أنفسنا .

والرأى في ذلك أن معظم مشاغلنا اليومية التى يغرقنا العصر فيها قصداً لاينبغى أن تشغلنا عن الغاية الأعظم من وجودنا في الحياة فهذه المشاغل لاتحتاج إلا إلى الهمم المحدودة النافذة الطاقة التى اعتادت قلة الجهد والكفاح . وهذه المشاغل المحدودة اليومية هى التى تجعل أذهاننا وقدراتنا محدودة لأنها تحد من اهتماماتنا وتحصرها في أضيق الحدود . وهكذا تنغلق دائرة اهتمامات وممارسة الحياة وتنحصر في المطالب اليومية التى ننحدر معها الى الابتذال لدرجة نسيان أنفسنا !!

والرأى – أيضا أن النجاح يتطلب نفوسا لاتعرف الخور أو الكلل أو التكاسل، ولاتقنع بحالها الراهن مهما كان ، فهى أرواح متمردة جبلت على الحميّة والانطلاق والإبداع . تلك الارواح تعبر عن عظمة شخصيتها وعمق وعيها واتساع أفقها وفهمها الصحيح للحياة بهذا الولع المشبوب بالنجاح والتفوق والتفرد والتميز .

* * *

ولان حياتنا ترسمها أفكارنا . فان الحياة الناجحة هى تلك ترسمها أفكار النجاح في كافة ميادين الحياة، وكلما ارتقى الفكر الذى يوجهنا ارتقت حياتنا الى نوع أقرب للحياة الفنية أو الذهنية القائمة على أهداف معنوية اكثر منها مادية. مثل الجمال الذى تهفو اليه نفس الفنان وتبحث عنه وتسعى من أجل تحقيقه في الفكر والشخصية والسلوك والالفاظ والهندام وأثاث البيت.

ولا شك أن مثل هذه الحياة الراقية تتطلب وعيا مثقفا يؤهل صاحبه للعيش في هذا المستوى من الحياة، على ان الثقافة الحقة تتطلب منا الماما

---

(١) : علم النفس في خدمتكم : وليم سرجيوس

بهذا العالم الذى نحياه. وفهما علميا وجوديا للحياة، ثمة شروط يجب أن تتحقق في الرجل ليكون مثقفا منها .

* أن يعرف الكثير من النظريات الحديثة عن تكوين الطبيعة فيقرأ في علوم الطبيعة والفلك والكيمياء ويتعرف مسائل ونظريات الضوء والحرارة والمغناطيسية وعلوم الذرة الجامعة لكل العلوم التى تدرس قبل ذلك منفصلة .

* وان يعرف أنواع الحيوانات والكائنات الحية على وجه الأرض. ويعرف موقعه بين تلك الكائنات ، ولماذا يشغل هذا الموقع بالذات؟ والامكانيات المرتقبة لتطوره .

* وان يعرف التطور الفكرى والاجتماعي والفلسفى للمجتمعات البشرية ويضم اليها النظم السياسية وتطور القيم وتاريخها .

* وان يلم ببعض الفنون والاداب .

فتلك الشروط هى التى تجعل منك رجلا مثقفا في حاله توافرها فيك ، فاذا لم يكن حظك منها وافيا كان عليك أن تجتهد في التحصيل الثقافى حتى تحيا الحياة اللائقة المرجوة .

وليس من المعقول ان نحيا في عصر ثورة المعلومات ونحن لانعرف كيف نشأ هذا الكون، أوكيف نشأت الحياة وتطورت على الأرض، أوكم عدد الحيوانات التى تضمها المملكه الحيوانية، أوما هى الأفكار التى طرأت على الذهن الفلسفى للإنسان في عصور تطوره الفكرى التاريخى .

وقبل ذلك كله يجب أن نعرف الكثير عن أنفسنا فندرس الانثربولوجيا والسيكلوجية وعلم الاجتماع لنعرف أثر المجتمع علينا، ودورنا في الحياه الانسانية، وكيف نتمكن من تنمية ذواتنا وترقية نفوسنا. فاذا لم يكن لنا

نصيب من كل ذلك فنحن لسنا الا مجرد قطرات ضائعة بائسة تافهة في بحر الحياة .

* * *

ولان الحياة سلسلة من المواقف يجمعها الموقف الأعظم المعبر عن رؤيتنا في الحياة .

فلا بد لنا من موقف في لحظة معينة نختارها من حين الى حين، لحظة نتوقف فيها عن الانجراف اللاشعوري في تيار الحياة لنسأل من نحن؟ والى أين نسير؟ ولماذا ومن أجل ماذا نسير ؟

مثل هذا الموقف يتيح لنا فرصة مراجعة ونقد أوضاعنا في الحياة، ويهيىء لنا فرصة تعديل اتجاهاتنا وأهدافنا وقيمنا، ويقيم جهودنا في ضوء ماكسبناه، أو خسرناه من أنفسنا ولأنفسنا والمجتمع، على أن حاجتنا الى مثل هذه المواقف يجب ان تكون مجرد بداية للثورة على نمط الحياة الذى نحياه بالفعل. ومن الثورة تنطلق الشرارة الأولى للنجاح .

* * *

هل يمكن للحياة أن تستمر في التطور لولا الثورة الدائمة والطموح العارم للتغيير والنجاح ؟

لنترك هذه الأسطر القادمة تجيب عن هذا السؤال .. إن الكائنات الحية جميعا – عدا الانسان – قانعة راضية، تتناول ما تبسطه لها الطبيعة على مائدتها دون تذمر أو اعتراض !

أمـا الانسـان – على صغره وضـعفه – ، المعـارض الوحـيد الذى يهزأ بالطبيـعة ويتـحداها ويهز قـبضـتـه الضـئيلة بجسـارة في وجـهـهـا ، يرفض ماتقدمه، ويسعى ليخلق عالما من صنعه !!

ويجد الانسان في الكفاح والجهاد وأحلام الانتصار كل لذه وابتهاج ولابد له من التقدم مهما كان مؤلما ، ومـهما كـان الثمن الذى يدفـعه دموعا ودما . وهو في مثابرته يغلب الزمن، وبروحه النـارية يقوض أسوار السـجن فينفذ النور الى الظلمات ويتسع أفق الحياة .

أما نقبض اليوم بأيدينا على ماكنا نظنه بالأمس مستحيلاً ؟ وها معجزات اليـوم سوف تصبح غدا الاعيب الأطفـال فمـا بالنا نتـردد ونتوقف وأمـامنا مستقبل باهر ومصير مجيد؟

وما بالنا نخشى الموت ونحسبه هادما ، وماهو الا نوم ومـا النوم الا راحة وما الراحة الا تجديد الحياة لوجود أبدى !

إن رسالتنا في الحياة الطامحة تقتضينا أن نخلق وننشىء، ومـا أفكارنا وآراؤنا ومطامحنا إلا خطط وتصـميـمات تحولها جـهودنا ومـا نجـتـذبه من معونات غيرنا، إلى حقائق واقعية ملموسة .

لنحلم اليوم أحـلامنا ، فنبنى بها عـالم الغد. فـالحـيـاة ليـست خلفنا في الماضى، فالماضى قد عبر، إنما الحياة أمـامنـا تتمثل في المثل العليا التى نسعى الى تحقيقها[1] .

---

(١) : علم النفس في خدمتكم : وليم سرجيوس

نعم لنحلم، لكن ماذا نفعل لكى نحقق هذه الأحلام ؟

وهل يمكن أن تتحقق الأحلام الا بالثورة والتمرد على حالنا في الحياة ؟

* الانسان الناجح إذن هو الانسان الطموح المثقف الثائر .

* الانسـان الناجح هو الذى يدرك أن مـعنى النجـاح هو الرقى الشـامل والتقدم العام غير المجزوء .

* والانسان الناجح هو الذى يرسم الخطط ويضع البرامج لتحقيق أهداف نجاحه وطموحه .

* والانسـان الناجح هو الذى لايفكر في التـفاهات ولاينفق الوقت فـيمـا لاينتفع منه. وهو الذى لايغيب عن ناظريه في كل لحظة هدف النجاح .

* والانسـان الناجح هو من يبـدأ نجـاحـه باسـتـغـلال قـدراته ومـواهبـه وامكانياته الحقيقية ، مـعتمدا عليها وحدها، بعد التعرف عليها وتقديرها تقديرا موضوعيا، لازيادة فيه ولانقصان .

* وهو الانسان الذى يعمد الى تنمية تلك المواهب والقدرات حتى يتجاوز بها النجاح الى ماهو أعظم منه ووراءه من نجاحات وانتصارات أخرى .

* وهو الانسـان الذى يؤمن بان الجهد الذى يبذله في الحـيـاة هو الذى يضمن له امكانية التمتع بكل متع الحياة . بما فيها متعة ذلك الجهد نفسه ومتعة التطعم بثمرته .. ثمرة النجاح .

* وهو الذى لا يشك لحظة في النصر والنجاح في المستقبل .

* وهو الذى يستبـد به القلق إذا توانى في تنفيذ مـخططه الهـادف الى النجاح، أو أحس في نفسـه ميلا الى حياة الركود واللامبالاه وعدم الاهتمام

بالحياة، أو انعدمت في نفسه دوافع الحماسه للتنافس مع كوكبة من المغامرين الناجحين أو حتى ميلا لأن يتساوى في نمط حياته مع هؤلاء القانعين بوقوفهم في طوابير الفقر ينتظرون شفقة واحسان وتفضل الحياة عليهم بالفتات !

* وهو المغامر الذى يلقى بكل ثقله في المراهنة على تحقيق النجاح وكسب معركة الحياة دون خوف من المجهول أو خشية من فقد مايملك. اذ ان ثقته بنفسه تجعله مؤمنا بقدرته على تعويض كل خسارة محتملة بل ان مجرد الخسارة في ذاتها لابد من اعتبارها عبرة عملية يجب الاستفادة منها .. فهى خبرة مستمدة من دروس الحياة. ولكل خبرة أو عبرة أو حياة ونجاح ثمن لابد من دفعه .

* وهو القادر على أن يجعل من أسوأ الظروف وأصعب المشاكل وأعظم الكوارث حافزا لإثارة همته ودفعه الى النجاح ليحل السعادة محل الحزن والانتصار محل الهزيمة والانكسار .

* وهو الذى يعرف أن نهر الحياة ليس أمينا ، وان الرياح لاتأتى دوما بما تشتهى السفن لذا نراه يحسب الاحتمالات ويحتاط لها حتى قبل وقوعها. ويزيد من استعداداته ليواجه كل تغير بما يستحق من الاعمال والأفكار والمشاعر.

* وهو الذى يستخدم خياله وإرادته وفكره وثقافته في صياغة وتشكيل عالمه ومستقبله ويمتد بأثر حياته الى غيره فيؤثر فيهم ويمدهم بحماسه وطموحه ويفيض عليهم من جوده بسخاء، مما يجعله أنموذجا يحتذى بين الاقارب والاصدقاء .

* وهو الذى يعيش بنظام ويعمل بجد واتقان ولايهمل وسائل الترفيه عن النفس أو الثقافة.

* وهو الذى لا يتعصب لأى أفكار، أو يتبنى أية مذاهب تناقض هدف النجاح بالمعنى الشامل. أي النجاح المتكامل في تحقيق الذات بكل طموحاتها ورقيها وسموها وتحررها ووعيها .

* وهو الذى يرفض أن يذل رقى جوهره الانسانى لعبودية العادات والتقاليد والأعراف التى لا معنى لها ولا قيمة أو الاغلال التى من شأنها أن تعرقل نموه الوجودى على مستوى الوعى والوجدان والقيم .

* الانسان الناجح هو الانسان المفكر، الذى يحيا حياة العقل فلا يدع شيئا يمر أمام عينيه أو يعرض لذهنه الا ويستوقفه متسائلا عن الدلالة التى يتضمنها، بل يتجاوز التساؤل عن الدلالة الفعلية للاشياء والافكار والقيم الى مطابقة تلك الدلالة بالحقائق العلمية والمنطقية حتى يقبل منها أو يرفض مايريد في ضوء العقل الذى لا يكف عن التساؤل بهدف المعرفة. فهذا العقل الذى لايمل من ترديد كلمة « لماذا » هو منبع الضوء الذى يبدد ظلام الحياة وينير الطريق الى النجاح والرقى .

* الانسان الناجح هو الذى لايهمل غذاء عقله وروحه كما لايهمل غذاء جسده واشباع غرائزه. وهو الذى يعلم أن غذاء العقل هو الثقافة الحية، وان الثقافة الحية هى التى تغرس في العقول قيم الصحو واليقظة والنجاح والتقدم والرقى والحرية أي التى تنمى كافة جوانب الوجود الانسانى وترتقى به .

* الانسان الناجح هو العظيم ، الذكى ، الحر ، المريد للنجاح والتفوق والتميز مهما كلفه ذلك من جهد أو تكلف مشقة المغامرة والمخاطر من أجل ارتياد المجهول بحثا عن آفاق جديدة للحياة والوجود . آفاق مشرقة باهرة تسطع انتصاراتها في علياء مجدها .

* والانسان الناجح هو الانسان « المتمرد » غير القانع بحياته السيئة، أو نجاحه المحدود الذى حققه بالفعل. فمادام الانسان على قيد الحياة فلا يحق له أن يعرقل مسيرة الوجود أو يعوق سير الحياة عن بلوغ هدفها الاسمى وهو الرقى والتقدم والنجاح .

ولا تختلف الأمم والشعوب عن الافراد من حيث الروح التى يجب ان تملكها لتحقق نهضتها وتقدمها ورقيها .. وفي ذلك يقول سلامة موسي : إن « الشعب العظيم يحيا عن قصد ويهدف الي هدف، وقصده وغايته هما القوة، قوة الثراء وقوة الصحة وقوة السلاح، وقوة الخير الاجتماعى الذى يربط أفراد الشعب ويشعرهم بأنهم في وطن عظيم .. الشعب العظيم هو الذى ينظم مستقبله ويرتب درجات رقيه .. ومن هنا برامج التنمية في مثل روسيا - الهند والصين .

معنى هذه البرامج ان الشعب يقول لنفسه : انى سأكون على قوة اقتصادية مقدارها كذا وكذا بعد فترة هذا البرنامج. وعندما يضع لنفسه هذا الهدف يشرع في تهيئة الوسائل لتحقيقه ، فيعبىء الشبان والفتيات والمدارس والمصانع، والمزارع والانهار ، حتى يعمل الجميع في الوصول الى الهدف .

ثم هذا البرنامج يليه برنامج آخر .

وتوالى البرامج يحدث وعيا في الشعب الذى يحس كل فرد فيه انه يبنى بل يشيد المستقبل فتنهض الهمم وتستيقظ العقول وتظهر قيم جديدة للبناء ، وتختفى قيم قديمة كانت تعمل للجمود أو للفتور أو للتأخر » [1] .

إذ لا فرق بين حياة الفرد وحياة الأمة . فكما يحيا الفرد تحيا الامة، وكما تحيا الأمة يحيا الفرد . والافكار السائدة في حياة الافراد والأمم هى التى تحدد نمط الحياة. وتعمل للرقي والتقدم والنجاح أو للتأخر والتدهور والانكسار والانكماش وانحسار الدور التاريخى في قيادة الحياة أو حتى المشاركة في صنعها .

فماذا نصنع نحن بحياتنا لكى نصل بها الى النجاح ؟

ويستطيع كل منا أن ينجح إذا تساءل عن الإضافة الحقيقية التى أضافها الى الحياة بوجوده، اليس هذا ما يجعل حياتنا ووجودنا متميزا عن وجود الحيوان والنبات؟ أليس الحيوان والنبات يحيا مستهلكا للحياة ولايمكنه الا أن يكون ضحية « للإنسان» إلا إذا اعادت الحياة ذاتها توظيف وجوده لأجل فائدة محددة أو غاية معينة ؟

أنظر إذن على عالمنا اليوم .. من نحن في هذا العالم ؟ ماذا ننتج ؟ ماذا نقدم للإنسانية التى نتحدث عنها ونضيف أنفسنا اليها ؟

الإجابة واضحة وهى أننا نحيا كالطفيليات على جسد الحضارة الحديثة ومنتجاتها وعلومها وثقافتها وأفكارها بل وحتى نمطها في الحياة

---

(١) : مشاعل الطريق للشباب : سلامه موسى . ص ٩٧

الاستهلاكية، ولا أظن أننا بحاجة الى توضيح الفارق بين حياة الطفيليات والحيوانات والنبات من حيث الرقى .

فاذا تساءلنا عن سر هذه الحياة الطفيلية التى نحياها فلاشك سنجد اننا قد اخترنا هذا النمط الطفيليات من الوجود لأننا لانريد أن ننهض أو ننجح، ولأننا لا نعمل، ولأننا لانبدع، ولأننا نجمد على أفكارنا وقوالبنا الذهنية العتيقة، ولأننا نخشى التقدم والتجديد ونميل الى الجمود والنبات في كل شيء .. فتلك كلها خصائص ذاتية، لابد من علاجها وتغييرها وثمة عوامل خارجية معلومة تتعلق بالعالم المتقدم الذى يقود العالم كله اليوم بسياسة احتكار التقدم له والابقاء على التخلف للعالم الثالث . لكن ماذا فعلنا نحن من أجل تحقيق ذاتنا ونجاحنا ونهضتنا وتقدمنا ؟

الفصل الخامس

معركة الحياة

كان هدف الحياة من التطور .. هو التقدم والارتقاء .

وكما قلنا سابقا فإن الارتقاء الحيوى قد استغرق زمنا طويلا حتى تصل الحياة إلى كسب معركتها في النهاية وتتوج انتصارها ونجاحها بظهور الإنسان.

مع ذلك ، لم يكن ظهور الإنسان هو النهاية الأخيرة لمسيرة التطور والارتقاء . وإن كان الكائن البشرى هو الكائن الوحيد القادر على قطف ثمار التطور، لأنه هو الكائن الوحيد القادر على أن يبلغ بهذا التطور إلى أقصى حدوده اللامتناهية عبر تغليبه للحرية وتمكينها من تنظيم الضرورة وتطويع الحتمية في اتجاه التطور ما بعد العضوى ، أي التطور من البشرى الحيوى . الى الإنسانى الوجودى .

ومنذ أدرك الانسان مدى حدوده وقدراته وامكانياته، راح يجرب امكاناته في الإبداع والابتكار ، في الحدود الضيقه، أولاً ، لنظرته للحفاظ على مصالح الحياة. وانعكست هذه النظرة على ابتكاره للوسائل التى تؤدى الى الحفاظ على تلك الوسائل ، وكانت نشأة المجتمعات الأولى مجرد وسيلة من تلك الوسائل ومازالت المجتمعات البشرية تتطور منذ ذلك الحين عبر التجريب المحكوم بجدلية : « الحيرة - الحتمية » حتى يمكن للإنسان أن يصل ، في النهاية ، إلى أرقى أشكال التنظيم لحياته الاجتماعية .

لكن يستحيل القول ، في اللحظة الراهنة، أو في أى لحظة مقبلة، ان الانسان عبر تاريخه الاجتماعى الطويل قد استطاع التمكن من بناء المجتمع الكامل «الفاضل » الذى يمكنه التوفيق بين « الحرية الفردية » – شرط التطور الوجودى الانسانى ، وبين « الحتمية الاجتماعية » – شرط التطور الحشدى البشرى الاجتماعى ، والواقع يؤكد ان الصراع الطبقى هو الذى يحكم التطور الاجتماعى . وان هذا التطور سوف يستمر إلى مالانهاية ، وكذلك « الصراع » الذى يحيل « المجتمع الفاضل » إلى مجرد وهم من الأوهام المستحيلة واقعيا .

إذن فقد بلغ التطور الحيوى – العضوى أقصى منتهاه، لكن مازال التطور الاجتماعى – الانسانى والخلقى في بداياته لانه لم يحقق كل غاياته، وهو أبعد ، في الواقع ، عن أن يحققها وإذا توهم الانسان في مرحلة تاريخية انه قد بلغ بالتطور الاجتماعى أقصى غاياته مجسدة في «المدينة» فليس معنى ذلك سوى وصول المجتمع إلى درجة من التجمد عند نقطة «ثبات» لايستطيع التطور الاجتماعى بعدها أن يواصل مسيرته الطبيعية ، التاريخية ، وإن هذا التجمد لن يلبث ان يتحول الى تحجر يستحيل معه إعادة بعث الحياة والحركه في النمط الوجودي الذى كرسته اليوتوبيا الوهمية. وشيئا فشيئا يجد هذا المجتمع نفسه خارج التاريخ، لان التاريخ لاتشارك في صنعه سوى الأمم الحيّة بالفعل .

نقول إن التطور الاجتماعى الانسانى ، عموما لم يزل في بداياته . لانه لم يحقق كل غاياته ، بل أهم غاياته وهو تنوع انماط الوجود الإنسانى ، ليتم

تجاوز ماهو بشرى – الى انسانى ، عبر الحرية . أى عبر الاختيار بين امكانيات مختلفة ومتنوعة من الانماط الوجودية، ولعل السبب في ذلك يرجع الى « فقر الفكر البشرى » .. منبع وأساس الابداع والابتكار ، فمن عجب أن العقل البشرى منذ بدأ يتفلسف والى يومنا هذا، ورغم وعيه بقوانين التطور ونتائجها ، ظل محصوراً بفلسفته بين الاتجاه المادى والاتجاه المثالى ، إما فلسفة مادية وإما فلسفة مثالية ، إما قيم ومجتمعات وسياسات واقصاديات مادية. وإما العكس ، وليس من سبيل ثالث – أو رابع أو خامس ، يتيح للإنسان إمكانية الإبداع في اتجاهات اخرى على مستوى القيم والمجتمع والسياسة والاقتصاد .

معنى هذا ان انماط الوجود التى عاشها الإنسان في عالمنا ، منذ النشأه الأولى للمجتمع البشرى ، محدودة إلى حد الجدب، بل محصورة في النمط المثالى أو النمط المادى فحسب ، وقد انتصر النمط المثالى – في عصرنا – بعد صراع طويل، وقد يكون هذا الانتصار مؤقتا – أى موقوتا بزمن قيادة الحضارة الرأسمالية الموشكة على الانهيار لعالمنا، لكن يظل البحث عن طريق ثالث، أو رابع وخامس للفكر البشرى هو المخرج الوحيد للانسان حتى يتحرر من عبوديته « لفقر الفكر » ومن فقره الوجودى الذى سجنه في نمط مثالى أو نمط مادى وحجب عنه سائر امكانيات اكتشاف وتجريب الانماط الأخرى المجهولة للوجود .

قمة النجاح الحقيقى إذن هى أن يحقق الانسان غاية الحياة، ان يكسب معركة الحياة وينتصر في تلك المعركة محققاً بذلك الهدف الاسمى وهو التطور

الانساني المكمل للتطور الحيوى لذا نقول إن معنى أن يصل الكائن البشرى الى امتلاك « جوهره الانساني « هو أن يتمكن من « تحقيق ذاته » ذاته الانسانية الثرية المتلئة بالوجود الحى النابض، والانتصار في معركة الحياة يكون تاما بتحقيق هذه الذات الناجحة على كافة المستويات لان نجاحها يعنى فهمها الصحيح للحياة ومعناها والنجاح ومعناه كما يعنى تمكنها من امتلاك قدرتها الكاملة على الإبداع المشروط بالحرية والجرأة على اقتحام المجهول بهدف اكتشاف امكانيات جديدة للحياة والوجود .

على أنه يجب أن نقول ايضا : إن الانسان لايكسب معركة الحياة عبر سلسلة من النجاحات والانتصارات المتوالية التى لاتعوقها العوائق أو تقطع اتصالها بالهزائم، وعلى العكس من ذلك فإن مثل هذه العوائق والهزائم تمثل « فجوات » في التيار المتصل للنجاح، أعنى التيار المتصل للتحقق الوجودى للذات ، وهى – أي الهزائم – او الفجوات – ضرورية ولابد منها ، شرط ان يحسن الإنسان استخدامها والافادة منها وعليه أن يؤمن أن وجود مثل تلك الهزائم أو العوائق، مهما كانت ، تؤدى دورا هاما لحفزه على مواصلة طريقه . فهى تقوم بوظيفة وجودية أساسية لولاها لتجمد الشعور بالزمن، وفقدت الحياة – بالتالى – احساسها بكل انفعال، تلك الوظيفة هي بث وخلق « التوتر » في نسيج الوجود . فالزمن سلسلة من الآنات المختلفة، واللحظات في نهر الزمن لا تتشابه، والسر في ذلك هو « توتر » نسيج الزمن .

هذا التوتر هو سر الشعور بحركه الزمن وعدم تطابق اللحظات ، ولولا ذلك لانعدم الشعور بحركة الزمن وتطابقت اللحظات وخمد – من ثم – الشعور

بالزمن . والتوتر ، عامة ، ينشأ عن التناقض والتغاير وعدم التطابق الذى يفضى الى التنوع والاختلاف وتعدد الامكانيات التى يجب على الموجود أن يجرب حريته في الاختيار بينهما، ليقرر مصيره بنفسه، التوتر إذن يؤدى وظيفة هامة يجب فهمها وتقبلها والاستفادة منها، وعدم الخوف منه، لانه الباعث الأول لاختبار حريتنا وقدرتنا على تحمل مسؤلية وجودنا وقدرتنا على استعمال حريتنا وتحديد مصيرنا وقوة إرادتنا وقدرتنا على مواجهة المواقف .

إذن تلك الهزائم أو العوائق ضرورية وهامة لحياتنا لانها اختبار – في الواقع – لقوة قدراتنا وحريتنا وإرادتنا للنجاح أى انها من حوافز تقدم الانسان ورقيه إذا فهمت بهذا الفهم .

وبالطبع فان حديثنا عن الزمن لا ينصب على الزمن الفيزيقى، بل على الزمن الوجودى، الذى يختلف الشعور به من انسان لآخر، ولايتطابق بالضرورة مع الزمن المادى ، الزمن المادى مجرد جزء من نشاط الطبيعة المادية، اما الزمن الوجودى فهو جزء من نشاط الانسان الوجودى . وفهم توترات هذا الزمن – الذاتى من اهم عوامل نجاح الانسان في كسب معركة الحياة .

نحن نسرع الخطى نحو أهدافنا كلما كان النجاح من الدوافع التى تحركنا والتى لانغفل عنها لحظة ، لكننا نبطىء كثيرا إذا لم تكن أهدافنا واضحة أو رغبتنا في النجاح تحتل بؤرة اهتمامنا ، وعامل الوقت أو الزمن. من أهم العوامل الحاسمة في تقرير مصير المعارك والأمر هنا لايختلف كثيرا

بالنسبة لمعركة الحياة، فقد نسرع الى الحد الذى يخيل الينا معه اننا نسابق الزمن . وقد نبطىء الى الحد الذى يخامرنا معه الشعور بأننا قد أصبحنا في عداد الموتى .

على ان سرعة أو بطء الزمن الوجودى ومايترتب عليها من أثر حاسم في نشاطنا النفسى وحياتنا الروحية. تتوقف على «درجة الاهتمام » – أو درجة – «الانتباه » التي نوليها لأهدافنا والتي تدفعنا الى الابقاء على مستوى من الجهد المبذول المناسب لتحقيق الغاية. أي أن « الاهتمام » من أهم عناصر الإرادة المحرضة على النجاح أو الفشل .

على أن الاهتمام ليس مجرد حالة تقودنا نحو النجاح ونحو كسب معركة الحياة ثم لا يعود الانسان بعد ذلك في حاجة إليه ، بل على العكس من ذلك ، إن الحفاظ على النصر في أي معركة . وكذا الحفاظ على النجاح يتطلب منا نفس درجة الانتباه والاهتمام وربما اكثر .

فاذا كان هدفك في مرحلة ما مثلا هو اجتياز امتحان الجامعة للحصول على الليسانس فانك تبذل من الجهد مايمكنك من تحصيل المواد العلمية الكافية للحصول على الدرجة المرغوبة في الامتحان، وينجح في اجتيازه فعلا. وتحصل على الدرجة العلمية . لكن إذا قل حماسك أو اهتمامك بما درسته بعد التخرج ، وإذا أهملت في تطوير معارفك فانك سرعان ماتنتكس أو تنسى كل ماتعلمته .

والعبرة هنا هي اننا يجب أن نكسب المعركة بتنمية خبراتنا، ومثل هذه التنمية تعني انه يجب أن نعيش على الدوام في حاله من الاهتمام والانتباه والطلب والتحصيل حتى تزداد قدراتنا ويتواصل نجاحنا وتتوالى انتصاراتنا .

انك أنت صانع نجاحك، ولكل نجاح قمة يجب ان تصنعها بنفسك لنفسك وتعمل على بلوغها ، فاذا وصلت إلى قمة من قمم النجاح ثم عجزت أن تصنع قمة من بعدها فتأكد أن بعد هذه القمة التى اعتبرتها آخر القمم هاوية لابد أن تهوى اليها .

وما أكثر السقوط الى السفح بعد الصعود الى القمم في حياتنا ، واكثر أسباب السقوط هو فقد الاهتمام والحماس والانتباه . وأسباب فقد الاهتمام والحماس أهمها فقد الإخلاص للفكرة أو العمل أو الهدف الذى رصدنا له حياتنا وجعلناه أقصى غايتنا .

وهنا يقول « وليم سرجيوس » : « ان كل فكر يمر بخاطر الانسان يحدث تغييرا في تركيب المخ ، وما من فكر طيب أو ردىء الا ويترك طابعه في مادة المخ وكلما تكرر الفكر في عقل الانسان ، أصبح عادة توجه الإنسان في الحياة وتجعل له ميلا خاصا فيها. فمثلا إذا ردد الانسان في عقله أفكار البغض والانتقام واعتاد التفكير فيها، تحول خلقه المحبوب الى خلق بغيض . وذلك لأن افكار الكراهية والحقد والحسد والغيرة والا يمكن ان تخلق في الانسان ميلاً الى المحبة والمودة .

وان كل فكر تتمسك به في عقلك بمثابرة واستمرار إنما يحدث حزًا في نسيج المخ ويصبح مسطرًا في تركيب المخ فيتجه خلقك في اتجاهه . فاذا أردت أن تغير اتجاهك في الحياة ، كان عليك أن تغير عقلك بتوجيهه في الاتجاه المرغوب والمثابرة على ذلك حتى تتكون لديك عادة عقلية جديدة وبذا تصبح مخلوقًا جديداً».

ولذا نقول – ونكرر – أن أفكار النجاح والثقة بالنفس والإيمان بالقدرة على الانتصار في معركة الحياة لابد ان تؤدى حتما الى النجاح والنصر وان الإصرار على فكرة النجاح وكسب معركة الحياة من شأنه أن يجعل تلك الفكرة مسيطرة على العقل وموجهة للجهد والسلوك في اتجاه تحقيق الهدف النهائى . أي – بعبارة أخرى – نملك القدرة على خلق اهتماماتنا بالإيحاء والفكر والتمرين المستمر على استخدام الفكر والعقل .

* * *

وبنفس الأهمية التى نوليها للأفكار، يجب أن نثق من قدرتنا على النجاح فما من نجاح في ظل الشعور بعدم الثقه في النفس. لذا فقد يكون من الأفضل هنا أن تتعرف على مقدار ثقتك بنفسك من خلال الاجابة على مجموعة أسئله «جيمس بندر» التالية :

١ – هل تسير رافع الرأس ثابت الخطى ؟

٢ – هل تتكلم بصوت واضح مسموع ؟

٣ – هل أنت مقتنع بإمكان ازدياد مقدرتك ؟

٤ – هل تركن لحكمك على الاشياء أم تركن لحكم الغير عليها ؟

٥ – هل ترى أن في وسعك ان تساهم في جعل العالم مكانا أفضل للعيش؟

٦ – هل تحتفظ ببشاشتك واتزانك في الوقت الذى يفقد فيه كل من حولك بشاشتهم واتزانهم ؟

٧ – هل تتقدم باقتراحات لتحسين العمل الذى تضطلع به أو بجانب منه ؟

٨ – هل تعنى بمظهرك وهندامك ؟

٩ – هل تسيطر على كل جنوح الى الإنغماس في أحلام اليقظة ؟

١٠ – هل تقدم على حل المشكلات الخاصة بالعمل كلما طرأت ؟

١١ – هل تعتقد ان في استطاعتك ان تبذل مجهوداً أكثر مما تبذله الآن؟

١٢ – هل تفعل شيئا لإزالة مخاوفك وأسباب قلقك ؟

١٣ – هل تسير على برنامج يهدف الى تحسين مستقبلك ؟

١٤ – هل تعلمت ان تحتفظ بهدوئك طول الوقت ؟

١٥ – هل تواصل المضى في طريقك غير ممتثل للإخفاق إذا صادفك مرة؟

ويمكن أن نكمل تلك الاسئلة ببعض اسئلة اخرى صنفها « جيمس بندر » في اختبار الشعور بالنقص وهى :

١٦ – هل يعتريك الارتباك حين يقدمك شخص تعرفه الى الغرباء ؟

١٧ – هل يحز في نفسك نجاح الآخرين ؟

١٨ – هل تجتهد في لفت الانظار إليك إذا كنت في احتفال ؟

١٩ – هل تحب ان تقول أشياء تؤذى مشاعر الآخرين ؟

٢٠ – هل ترضيك المجاملة اكثر مما يرضيك إنجاز عمل بين يديك ؟

٢١ – هل يشعرك طموحك إلى النجاح بالتعاسة ؟

٢٢ – هل تشك في مقدرتك على اجتذاب الجنس الآخر ؟

٢٣ – هل تجتهد في أن تحجب كل من عداك في مجموعة أصدقائك ؟

٢٤ – هل تقاطع متحدثا لتدلى بدلوك في الحديث ؟

٢٥ – هل تحاول التأثير في الآخرين بارتفاع الصوت ؟ (١)

* * *

نحن في معركة الحياة . إما أن ننتصر وأما أن ننهزم ، وليس ثمة حال بين بين وعلى من يريد أن ينتصر في تلك المعركة أن يتمثل أعظم وأشهر قصص الحب في التاريخ ، وأن يتعرف حياة العشاق وما بذلوه من جهد جهيد لتحقيق أهدافهم والحصول على ماتمنوه، وقد يكون في الكثير من تلك القصص مبالغة، وقد تكون نهاياتها ليست غالبا سعيدة لأبطالها الذين

---

(١) : جيمي بندر : طريق الشخصية الجذابة ، ترجمة الزيادى ص ٤٤ ، ٤٥ .

خرجوا منها منهزمين أو لقوا حتفهم في سبيل غايتهم، لكن منهم من حصل على مطلوبه ومراده بالصبر والكفاح والجهد والتضحية .

وليس النجاح في الحياة سوى غاية يمكن أن نحلها محل محبوبتنا التى نتمنى الارتباط بها، فكم نبذل من جهود وتضحيات ووقت وكفاح من أجلها ؟ وكم نعدل من أفكارنا والفاظنا وهندامنا وسلوكنا حتى ترضى عنا أوحتى نسعدها فنسعد بسعادتها ؟!

ومثل هذا الاهتمام بشخص المحبوب هو مايجب ان يكون بأهدافنا، وعلى رأسها هدف النجاح في الحياة ومثل هذا الاهتمام من شأنه أن يشغل العقل والوجدان فلا يدع إهتماما آخر يستحوذ علينا ، أو يلح على مشاعرنا ويوجه سلوكنا وأفكارنا .

ومثل هذا الاهتمام هو الذى يعيد صياغة نفسيتنا وافكارها ويعدّل منها ويحسنها لكى توافق الاتجاه المطلوب نحو الهدف والغاية، النهاية التى لا غاية سواها وهى كسب معركة الحياة .

إذ لايجب ان يكون لنا أهداف أخرى سوى الانتصار، فالانتصار هو ما يجعل لتلك الحياة قيمة .. ولذا يقول « وليم سرجيوس » في كتابه « علم النفس في خدمتكم » .

إن « نجاحك وانتصارك في الحياة يتوقف على موقفك من الحياة فلن تصيبك الهزيمة الا عندما تظن انك هزمت ، ولن ينال منك الفشل الا عندما تعتقد انك فشلت ، ولن تفقد ما بيدك الا عندما تتصور أنك خاسر ما ربحت .

فهي العقيدة في الفشل تجلبه وهو الإيمان بالظفر والنجاح يحققه ولقد كان لعظماء القواد من قوة إيمانهم بالانتصار ما تغلبوا به على دواعي الفشل والهزيمة . فلتكن لك العقيدة الطيبة والإيمان المتفائل والجهاد الصادق لتؤدي رسالة الحياة » .

فاذا كان « الانسان هو غاية الحياة » فليس على الإنسان إلا أن يكسب معركة الحياة بأن يكسب نفسه وذاته. فهذا الكسب هو أعظم النجاحات وأكملها وأشملها . وليس أصعب وأسهل من ان ينجح الانسان في ذلك ، أو ليس يقول الكاتب الأمريكي « هنري ديفيد ثورو » إن :

« كل إنسان يبني معبداً هو جسمه، وهو يتعبد فيه على أسلوبه الخاص ، وهو لن يجد ما يعوضه من هذا المعبد مهما دق ونحت من المرمر. ونحن جميعا مثالون ورسامون ، ومادتنا هي لحمنا ودمنا وعظمنا، وعواطفنا النبيلة تكسب هذا التمثال الذي نصنعه من أنفسنا جمالاً وروعة ، كما أن عواطفنا الجنسية تكسبه حيوانية وشهوانية»

نعم نحن نصوغ أنفسنا، ذواتنا وشخصياتنا، بأنفسنا ، ونختار أنفسنا بحرية ونحدد مصيرنا باختيارنا لميولنا وعواطفنا وأفكارنا . أو لم نقل منذ البداية : كما تريد – تكون ؟

هي إذن معركة يجب أن ينتصر فيها الانسان الحق، الانسان الأعلى الذي ترنو إليه البشرية وتتطلع منذ قديم الزمن .. الانسان الذي ينتصر في ذاته للعقل والحرية والتقدم والارتقاء والقيم العليا البشرية .. ولاشك أن الإصرار

على بلوغ هذا الهدف سوف ينتهي بنا حتما الى تحقيقه مادمنا على قيد الحياة ، والحياة ذاتها لاتفتر عن بلوغ قصدها وغايتها أو السعى لبلوغ هذا الهدف .. لذا سوف تستمر هذه المعركة إلى مالا نهاية ليقوم فيها كل منا بدور، ويحقق كل منا بعض أو كل غاياته حسب الهمة .

وفي هذا المعنى يقول « وليم سرجيوس » :

إن .. معركة الحياة ، الحقيقية ، هى التى تدور رحاها في داخلك حيث الكفاح المستمر في سبيل أن تكون لك شخصية متحدة وأن تعمل كشخصية متحدة ، وان تتأثر بالفكر دون الدوافع الانفعالية غير الواعية غالبا وان تكون على دراية أكثر فأكثر بنفسك وبالآخرين من زملائك البشريين فاذا ماكافحت الكفاح الصائب في هذه المعركة، حققت لنفسك اسباب الحياة الناجحة وقد يكون من النافع ان نجرى هنا مقارنة بين الحرب الخارجية في أصولها وبين مبادىء العراك الداخلى لتكون الحقائق واضحة جلية :

أولا : تثار الحرب لغرض أو غاية محددة – يسعى الى تحقيقها في المعركة كالاستيلاء على مدينة مثلا ، اذن يجب ان يكون لنا – في معركتنا – غاية ، بل ان يكون الهدف قيما . إذا أردنا كسب المعركة. إذ لا يكفى ان يكون لنا نفوذ أو نجاح في عملنا . فكم نرى كل يوم أفرادا يبدو انهم نالوا كل مطالبهم من وجهة النظر العالمية ، لكنهم مع ذلك يظلون قلقين غير راضين ، وينبغي أن يكون هدفنا هو إنماء شخصيتنا الى ابعد مدى ممكن واذا سعينا لهذا الهدف فلن يكون ذلك لاننا نتوقع فيه ان نحيا سعداء . بل لأنه يعدنا ويهيئنا للغرض الأسمى للبشرية .

ثانيا : لابد لكل قائد من حصر قواته لمعرفة امكانياته وقدراته الحقيقية ، وعلينا ان نفعل مثل ذلك بتقدير انفسنا حق قدرها، علينا أن نعترف بواقع قدراتنا وامكانياتنا الحقيقية بعد معرفتها حتى نتمكن من تطويرها وتجديدها وزيادة مانرى النقص فيه حتى ندخل المعركة على ثقة من النصر .

ثالثا : يتحلى القائد بروح الجرأة والإقدام في المعركة فلايجب أن نفعل عكس ذلك بأن نفضل اسلوب حرب الخنادق ونرضى بأن نحيا وفقا لمبدأ « السلامة اولا » فنتمسك بعمل خشية فقدانه والواقع أنه ليس في الحياة أمور ثابتة محققة، فالحياة مقامرة ومن ثم وجب أن تواجه بروح المجازفة والمخاطرة.

رابعا : يعلم القائد أن القوى بين قواه أعظم حتى يستغلها أفضل . لأن قوة الخلق التى يستطيع الانسان ان يضعها في أي عمل (العقل ، القلب ، والنفس) هى أهم عامل في نجاح ذلك العمل .

خامسا : لكى تكسب معركة الحياة يجب أن تؤمن بان كل فكر أو انفعال إنما يتموج ويتذبذب خلال كل خلية في الجسم حيث يترك هناك تأثيرا من نوعـــه.

سادسًا : إن افكارك هى التى تحدد مصيرك كما تحدد لنا من أنت وتحدد غدك الذى لم يولد بعد ، صحيح ان عوامل كثيرة كالوراثة والبيئة والصدفة – تتدخل في حياتك ، لكن التحليل الأخير للامور يثبت ان

افكارنا هى التى تجعل منا ماهو نحن وتحدد المكان الذى نحن فيه من الحياة فالأفكار الصغيرة تخلق اناسا صغارا وما خلقك وشخصيتك ومركزك في الحياة الا تبلور الأفكار السائدة في ذهنك والمألوفة لديك ولايمكن ان تفكر في فكرة وتكون على نقيضها كما تفكر تكون ، افكار المرضى، تخلق المرضى ، وأفكار الفقر والخوف تخلق العسر والضيق والجبن وأفكار الفشل تعطل النجاح وتعرقله، تفكير البناء يؤدى حتما للبناء وتفكير الهدم لايؤدى الا للهدم وانت لست الا ماتفكر فاحرص على أن تسودك وتقودك أفكار النجاح والبناء والرقى والتقدم والرخاء إذا اردت كسب معركة الحياة .

الفصل السادس

الحياة
مشروع نجاح

الفـرق بين الكائن الحى ، أيا كـان ، وبين الكائن البـشـرى الحى ، هو الشخصية الحية .

ولان الكثير من البشر لايهتمون بأن تكون لهم شخصية حية « ناجحة» ، فهم أحياء كالموتى ، أو هم أرقام في قطيع لايمكن التمييز بين أفراده، هؤلاء لايجعلون لحياتهم هدفا . ولايهدفون منها إلى قيمة عظمى ، لذا فهم لايهتمون بأن يجعلوا من حياتهم مشروعًا للنجاح . وكل همهم في الحياة سد حاجاتهم الغريزية وقضاء حاجاتهم اليومية . فلا عجب أن تكون حياتهم مبتذلة، ضحلة ، أسيرة للروتين اليومى البطىء بطء الموت .

وعلى العكس من هؤلاء نجد من يهتمون بتنمية شخصيتهم وتكوين ذواتهم «الحية» الراقية، يحيون حياة تتطابق مع مايبذلونه من جهد أى يحيون حياة حافلة في دأب متواصل لتحقيق نجاحهم في الحياة، وهؤلاء وهؤلاء لايتصورون أن تكون الحياة شيئا آخر سوى المشروع الهادف للنجاح الشامل .

على أن مـايجـعلنا أحـيـاء على درجـة من الرقى ليس سـوى الاهـتـمـام بالغايات والأهداف الكبرى والقيم العظمى ، إن « الاهتمـام » بما نمارسـه ، مصحوبا باليقظة. لاشك يؤدى إلى النجاح المؤكد . فاذا مارسنا الحياة بهذا الإهتمـام وتلك اليـقظة الذهـنيـة فـإننا سنقف – بلاشك – على آفـاق أوسع للحياة، وعندئذ لن تقنع – أبدا – بحياة تشبه حياة الحيوان أو النبات ، بل لن نرضى عن الحياة الانسانية الراقية بديلا. ولن نرضى عبودية الضرورة التى تخضع لها الكائنات الأخرى في المستوى الأدنى من الوجود الإنسانى .

. لكن الأحياء الموتى، أهم صفاتهم هو خضوعهم الذليل للعبودية دونما تفكير، عبودية العمل غير المحبوب مثلا ، أو عبودية الأمور التافهة التى تفرض سيطرتها عليهم دون ان يملكوا قدرة تحرير أنفسهم منها ، وهم مع ذلك يخضعون لتلك العبودية بوهم الخوف على الحياة أو فقد استقرارها !! فإذا بهم يئدون حياتهم بأنفسهم . لأن عبوديتهم تجعلهم أسرى التوافه والخوف والابتذال اليومى وانعدام الحرية، ومن ثم تصغر اهدافهم وطموحاتهم بصغر اهتماماتهم ومشاغلهم ويظل مشروع الحياة وتصورها لديهم أسير عبوديتهم وأسير اهداف تلك العبودية ذاتها. إذن فالشخصية الحية أولى صفاتها الحرية والقدرة على إبداع الوجود الشخصى وفقا لرؤية ابتكارية تتسم بالجرأة والطموح . رؤية شخصية تدل على الثراء الذاتى للشخص الحى . ولابد لهذه الرؤية من وعى يبنى للحياة فلسفة تجعل من الحياة ذاتها مشروعا للنجاح .

ولأننا نريد أن نكون من الأحياء الأحياء ، لا الاحياء الموتى ، فإن علينا فورًا أن نبدأ :

** بجعل حياتنا مشروعا للنجاح، نحقق مراحله مرحلة تلو أخرى ، على ان يكون لكل مرحلة أهدافها التى تتكامل مع الأهداف الأخرى بحيث تؤدى جميع الأهداف في النهاية الى تحقيق هدف واحد هو النجاح الشامل.

** ولكى نفعل ذلك يجب أن نبدأ في ممارسة الحياة بأسلوب آخر ، باهتمام ويقظة ، وبكل جرأة، وأن نحسب بشكل دورى كل مانحققه من كسب أو خسارة على أن نتوخى « الصحة » في كل شىء ، وعلى كل مستوى .

** ويجب أن يكون الطموح هو رائدنا في مشروع النجاح .

** ويجب أن نحرص على أن تقودنا الأفكار والايحاءات الايجابية دون الأفكار السلبية الضارة .

** ولكى نفعل ذلك يجب أن نحسّن صفاتنا وننمى شخصياتنا .

** علينا كذلك ان نعيد النظر في اسلوب حياتنا، وأفكارنا ، وأن نبحث عن حلول لتحسين أوضاع الحياة السيئة التى نحياها. إذ يجب علينا ان نفعل شيئًا لتغيير حياتنا إلى الأفضل وألا نستسلم للسلبية إزاء الظروف السيئة كما لو كان لاحيلة لنا ولا حول ولا قوة .

** عليك اذن ان تضع لنفسك برنامجا مرحليا للنجاح تتنوع أهدافه لتشمل اكثر من ميدان من ميادين التنمية الذاتية ، مثلا .. يجب أن يشمل هذا البرنامج قراءة خمسين كتابا – سنويا على الأقل ، بالأضافة الى الإقلاع عن عادة سيئة من عاداتك ، والتمرن على تنظيم الوقت وزيادة الجهد المخصص لبعض الأعمال.

** إحرص على أن يكون الهدف الأخير من هذا البرنامج هو أن يكون لحياتك معنى . وذلك بأن يكون لك قيمة في شخصك وفكرك فلا تكن كمن يحمل أعلى المؤهلات الذى حقق نجاحا باهراً في عمله لكنه مع ذلك يجهل أى شيء آخر سوى ما يتعلق بمهنته، مثل هذا الرجل يحيا حياة ضحلة، فقيرة، لا قيمة لها ولاثراء فيها .

** يجب أن نجعل حياتنا نابضة بنبض الوجود، حية ، أي ممتلئة وحافلة بالمعرفة عن كل شيء . فماذا تعرف عن نفسك ، ومجتمعك ، وعالمك وعن الأفكار والفنون والقضايا التى يموج بها ذلك العالم ؟ يجب ان تمارس حياتك في ضوء معرفتك بكل هذا حتى تكون حياتك مشروعا للنجاح الحقيقى .

** ومعنى أن نمارس الحياة ايضا، بتعبير سلامة موسى ، هو أن نحياها - الآن، أي لا نؤجلها ، ولا نعتذر عنها بمشاغل أو اهتمامات يجب الا تكون في الأصل سوى مجرد وسائل نستعين بها على ممارسة الحياة ذاتها، كالعمل، نعم .. الحياة في النهاية جهد من أجل التطور والارتقاء . لكن يجب الا تشغلنا الوسائل عن الغايات ، لا تؤجل حياتك إلى أن تواجهك الشيخوخة وتكتشف بعد فوات الأوان بؤس وفقر حصيلتك من الحياة.

** ولكى تكون الحياة مشروعا للنجاح بحق ، يجب أن تكون لك فلسفة في الحياة تنتظم فيها أفكارك بحيث يشكل الترابط بين الأفكار إطارا فلسفيا يوجه مسيرة الحياة دائما الى غايتها النهائية حتى لاتنحرف عن مسارها ، أو أن يعيدها إلى هذا المسار كلما حادت عنه .

** على أن اعظم فلسفة للحياة هى التى تكون مفاهيمها الكبرى أو محاورها الرئيسية هى أفكار : الحرية ، تحقيق الذات ، الرقى ، التحدى ، النجاح .. أى تحقيق « الذات الراقية » الحية الناجحة وهى الذات التى ترفض الاستسلام لعبودية الفقر أو الجهل أو المرض أو الهزيمة . ولا تقنع باليأس والخمول ، بل - اكثر من ذلك - لاترضى التطابق مع الغير مهما كان هذا الغير مثلاً جيدا يحتذى به وانت يجب ان تكون متفردا متميزا الى هذا

الحد، وفي كل شيء، في افكارك، وفي اخلاقك، وفي أهدافك وأحلامك، وفي الفاظك وأفعالك. وفي كل مايشكل حياتك وشخصيتك .

** وانت عندما تجعل من حياتك مشروعا للنجاح فانك تهدف – بلاشك – إلى النجاح الشامل الذى يدل عليك أنت ، وكأنك تصنع نفسك بنفسك بعد اختيارها، فانت تصنع نفسك بالفعل باختيارك لأعمالك وأفكارك وشخصيتك وأخلاقك ومهنتك وبيئتك ومعارفك فما دام المبدأ هو التصميم على جعل الحياة هادفة ، فإنك لن تستسلم لظروف البيئة التى لاشك في أنها تعرقل نجاحك ، ولوسف تبدأ أولى خطوات النجاح بالتخلص من كل ما يعوق مواهبك ويعطل نجاحك سواء ماكان من ذلك من الافكار الضارة السيئة، أو الاصدقاء الذين لاهدف لهم في الحياة ولاقيمة ، أو البيئة التى لاتوفر لك عوامل النجاح .. انك انت صانع حياتك ونفسك ونجاحك .

** ولأننا يجب ان نمارس الحياة الناجحة فيجب علينا أن نهتم بعلاقاتنا بالآخرين فنجعل من الحب شعارنا في التعامل معهم. فنحن لانحيا بمعزل عن الناس، ولايمكننا عدم التعاون معهم أو النجاح بدونهم. إن قسطا عظيما من نجاحنا يتوقف على علاقاتنا الطيبة بالآخرين ، بل سعادتنا أيضا كذلك .

لذا .. « يربط عالم النفس – ألفرد أدلر – بين رغبتنا في الحصول على الحب، وبين رغبتنا في الحصول على التقدير والاحترام وفي رأيه أن تلهف الفرد على التقدير والاحترام، هو المحرك الأول للحياة، فنحن لانستشعر السرور والرضاء الا حين يرضى الناس عنلذ ولاتخمد لنا قط رغبة في إطراء الناس لأعمالنا ، أو السعى للظفر بإعجابهم بثيابنا وهندامنا ، ومهما يكون

التقدير ضئيلاً. فإنه يبث فينا الاحساس بالأهمية الذى يشدد عزائمنا للمضى قدما في خضم الحياة. ونحن كذلك مدفوعون دفعا إلى إعطاء الحب كما نأخذه . فإذ نخطو قدما نحو النضوج، يداخلنا شىء من السأم من أنفسنا، ونجد لدينا فائضاً من العاطفة يتحتم علينا أن نشركه مع الآخرين، فإذا لم نفعل فالأرجح أن يعترينا المرض أو يدهمنا الاضطراب» (١) .

** وبالطبع تحتاج العلاقات العامة الناجحة إلى اللباقة ، وأنت أيضا بحاجة الى « اللباقة » ليس لمجرد النجاح في العلاقات العامة وستدرك ذلك إذا علمت أن تعريف اللباقة لدى «جيمس بندر» هو : المقدرة على استكناه الاتجاه الذهنى في الشخص الآخر الذى تتعامل معه (٢) .

** وأنت في حاجة – بعد ذلك – الى الصبر وترويض النفس على قوة التحمل والإصرار على تحقيق الهدف النهائى إذا أردت لمشروع حياتك النجاح. فأنت شخص واحد بكل تأكيد، لكن هذا الشخص الواحد الذى يتصف بالحياة . يعتريه التغير في كل لحظة، إذ نحن دائما عرضة لتغير المزاج. وإذا لم نكن من الذين بلغوا من النضج العقلى والوجدانى مبلغا معقولا ، فمن السهل أن يعصف بنا تغير مزاجنا في لحظة من اللحظات فنحطم كل مابنيناه، أو نخفق في تحقيق بعض مانريده ولكى نتجنب عواقب تغيراتنا المزاجية فإن علينا أن نرسم خطة حياتنا ومشروع نجاحنا وفقا لمعرفتنا بأنفسنا وامزجتنا ، ليس أفضل من ممارسة ضبط النفس واتباع

---

(١) : جيمس بندر : طريق الشخصية الجذابة ، ترجمة عبدالمنعم الزيادى ص ٩ .

(٢) : المصدر السابق : ص ١٩

الوسائل التى تحقق الاتزان النفسى لتكون عاصما لنا من تقلباتنا المزاجية التى ينعكس أثرها - حتما - على مواقفنا سواء بالسلب أو الإيجاب، بل تؤثر على نشاطنا وحيويتنا وعزيمتنا وإقبالنا على الحياة واختياراتنا فيها ، وليس أفضل من تدريب النفس على الصبر والتروى وقوة التحمل والثبات في المواقف الصعبة لتحقيق الاتزان النفسى وتكوين الشخصية المتزنة التى يعتبر تكوينها من أهم الجوانب اللازمة لمشروع نجاحنا في الحياة. على ان فترات السعادة أو الاعتدال المزاجي يمكنك استغلالها في إنجاز أقصى ماتريد إنجازه لما تتمتع به من نشاط وحيوية موفورة في تلك الفترات دون غيرها، ومن السهل عليك ان تعرف فترات سعادتك أو اعتدالك المزاجى بمراقبة نفسك لمدة شهر تسجل فيه يوميا ، قبل النوم ، حالتك المزاجية لتعرف في النهاية دورة تقلباتك المزاجية وسيرها . فتحسن استغلال طاقاتك ولاتهدرها في غير الوقت الملائم غير ان ما يتحكم - قبل ذلك - في تقلبات المزاج، هو طبيعة المزاج الشخصى الذى يختلف من إنسان إلى آخر ، ومعرفة طبيعة المزاج مرهونة - كذلك - بمعرفة نوع الشخصية .

هناك الشخصية الانطوائية ، وهناك الشخصية الانبساطية، وبين هذه وتلك توجد الشخصية المتوسطه التى تجمع بين المزاجين والطبيعتين الانطوائية والانبساطية معا . فمن أى الشخصيات أنت ؟

لكل شخصية صفات تحدد طبيعتها المزاجية، ولكى تعرف أي الشخصيات أنت عليك أن تعرف صفات كل شخصية على حدة، الشخصية الانطوائية مثلا يمكن أن نجمل صفاتها فيما يلى :

*الانسحاب الى داخل النفس والتمحور حول الذات. وهو مايعكس صفات تلك الشخصية الفائقة الحساسية، التى تميل الى العزلة والهرب من المجتمعات والتجمعات وكراهية الظهور في بؤرة انظار الآخرين وهى شخصية عنيدة الحساب والمراجعة لنفسها ، ناقدة، متشككة ، دائمه التساؤل والبحث عن الاسباب الكامنة خلف كل سلوك ذاتي ، أو سلوك من الغير تجاهها ، ومعظم ميولها فنية أو أدبية أو علمية . تتميز بالهدوء الشديد وعمق التفكير، شخصية يخفى اتزانها حدة انفعالاتها العصبية في المواقف المثيرة أو العاطفة.

أما الشخصية الانبساطية فيمكن إجمال صفاتها فيما يلى .

* الانفتاح على المجتمع والغير وهو يعكس صفاتها الأخرى كالمرح والانطلاق والجرأة والواقعية، فهى شخصية عملية تشعر بوجودها اكثر في المجتمعات ، وتنجح لذلك في إقامة العلاقات العامة، شخصية ذات اهتمامات رياضية، تكره الاعمال الذهنية أو الفنية أو السياسية . واصحابها ينجحون غالبا في أعمال تتطلب الاندماج مع الآخرين والانفتاح عليهم كأعمال البيع والشراء . وهى شخصية يقلل انطلاقها من حساسيتها الى حد يجعلها تتقبل الإهانه بروح مرحة .

أما الشخصية الوسطى التى تجمع في طبيعتها بين طبيعة وصفات الشخصية الانطوائية وطبيعة وصفات الشخصية الانبساطية فهى شخصية لاتميل كل الميل الى الانطواء أو تندفع كل الاندفاع نحو الانطلاق، ولا تفضل عملاً على سائر الاعمال وهى شخصية متزنة معتدلة المزاج بسبب طبيعتها تلك.

ومن الواضح ان من الأفضل للإنسان ان يمرن نفسه على اكتساب طبيعة الشخصية الأخيرة لأنها من اكثر الشخصيات التى يمثل الاتزان المساحة الأعظم في حياتها النفسية، الأمر الذى يجعلها اكثر قدرة على التحكم في النفس وفي الافكار والانفعالات . مما ينعكس أثره على مواقف الحياة .

* * *

ووفقا لمعرفتك بنفسك ، في ضوء تقلباتك المزاجية يمكنك أن تضع البرنامج المناسب لتحقيق النجاح، وليكن هذا البرنامج عاما وهادفا يتسع مداه المرحلى إلى خمس سنوات مثلاً، لكن عليك قبل أن تتسرع في وضع هذا البرنامج أن تحدد أهدافك أولاً وتعين طموحاتك، تماما كما يفعل القائد قبل خوض المعركة. فهو لايقدم على الحرب الا بناءً على خطة لها أهدافها المحددة المعروفة سلفا، وهو يضع تلك الخطة وفقا لإمكانياته وقدراته بعد معرفتها وتحديدها كذلك فلا يمكنه أن يطمع في تحقيق الاهداف التى تفوق تلك الامكانيات أو التى تعجز عن تحقيقها هذه القدرات التى يمكنها بالفعل والا كانت الهزيمة مؤكدة والفشل محتم .

فإذا كانت الأهداف أعظم واضخم من القدرات الموجودة بالفعل كان على القائد أن يكتفى – مؤقتا – بما يستطيع تحقيقه وبلوغه بامكانياته المحدودة، على أن يهتم في نفس الوقت بتنمية تلك الإمكانيات والقدرات الى أقصى مدى ممكن حتى يتمكن في مرحلة أخرى من بلوغ الأهداف العظمى .

لذا يجب أن يكون برنامج الحياة او مشروع النجاح مرحليا ، ويجب أن يشمل هذا البرنامج تحقيق الأهداف الرئيسية التالية ليغطى جميع جوانب

الحياة وهى :

- زيادة الدخل والتقدم في المهنة .

- تحسين المركز الاجتماعى .

- تحسين المركز الأدبى والعلاقات العامة .

- زيادة المحصلة الثقافية .

- تحقيق الإشباع العاطفى والسعادة العائلية .

- تحقيق التأمين المناسب للمستقبل للوقاية ضد المخاطر غير المنتظرة حتي تتخلص من مخاوف الفشل وتوطد عزيمتك للنجاح وتعمل على تحقيقه مطمئن البال غير مزعزع الثقة .

فاذا كان هذا هو البرنامج الذى يضمن لك تحقيق النجاح الشامل . فليس عليك إذن سوى أن تبدأ في تحقيقه والعمل به، وأن توجه جهودك لتحقيق خطواته في دأب ونشاط وصبر حتى تتمكن من إنجاز خطواته خطوة بعد أخرى .

ثم عليك بمراجعة نفسك وأعمالك سنويا حتى تحصر منجزاتك ومكاسبك ونجاحك الذى تحقق بالفعل أو لتعرف أى الجوانب - في برنامجك - يحتاج إلى المزيد من الجهد لتحقيق مالم يتحقق بعد .

فاذا تمكنت خلال خمس سنوات من تحقيق كافة بنود هذا البرنامج، فلن تجد نفسك بحاجة عندئذ إلى وضع برنامج آخر مختلف، بل عليك مواصلة الكفاح في نفس الطريق وعلى نفس البرنامج الأول لتحقيق المزيد من النجاح

والتقدم في كل جانب من جوانب الحياة. إذ ليس للنجاح أي حدود نهائية، ونحن نواصل مسيرتنا في الحياة وفقا لمجهوداتنا وطموحنا ، وكلما اتسع مدى هذه القدرات اتسعت دائرة الاهتمامات وتعاظم الطموح ووجد الانسان من ثم ما يستمر من أجله في مواصلة الكفاح لتحقيق أهدافه .

* * *

نحن نأتى الى الدنيا لكى نحيا لكن أي حياة تلك التى يجب ان نحياها ؟

وما قيمة الحياة إذا لم تكن ممتلئة بالمعانى حافلة بالأعمال العظيمة التى تحقق السعادة الحقة لنا وللآخرين ؟ ثم اليست السعادة الحقة هى ان ندع الحياة تحقق أهدافها من خلالنا دون ان نعرقل مسيرتها أو ننحرف بمسارها عن مجراها الهادف الى تحقيق النجاح ؟

لابد إذن من الجهد، مادمنا على قيد الحياة، والفرق الوحيد بين النجاح والفشل هو طبيعة الجهد الذى نبذله من أجل صياغة وجودنا واختيار نمط حياتنا، هناك الجهد السلبى الذى يبذله بعض الناس ممن تسيطر على أرواحهم الأفكار الهدامة السلبية التى تقودهم الى الفشل والهزيمة والكسل والتراخى والتواكل والهرب من مسئولية صياغة الوجود، وهناك الجهد الإيجابى الذى يبذله بعض الناس ممن تقود أرواحهم الأفكار البناءة الهادفة ، الايجابية التى تقودهم من نصر إلى نصر ومن نجاح الى نجاح .

ولا شك ان الروح تنطبع بطابع الافكار التى تقودها في الحياة ، في الحياة أناس تجد أرواحهم مثل الشعلة المتوهجة تضىء في الظلام وتبعث

الدفء والحيوية والأمل فيمن حولها من البشر. تلك هي روح الانسان الناجح الذى حدد أهدافه في الحياة وعين لها ما يلزم تحقيقها من الجهد ولم يهدر طاقاته وجهوده في توافه الأعمال، وهناك ايضا أناس تجد أرواحهم مثل الجذوة الخابية أو المنطفئة وهؤلاء تنتشر البرودة في حياتهم وتتسرب منها الى من هم حولهم، وهؤلاء ينشرون مشاعر اليأس والاحباط والهزيمة والقلق والابتئاس أينما حلوا .. انت إذن مسئول عن حياتك في هذا العالم ، وانت ايضا مسئول عن الأفكار والمشاعر التى تبثها في الآخرين قولا وعملاً . وهذه المسئولية تنبع من أثرك في العالم وتأثرك به ، وعليها تقوم الحياة الأخلاقية في المجتمع الإنسانى فكلما كان احساسك بمسئوليتك تجاه البشرية أعظم ارتقى ضميرك الخلقى اكثر وانعكس من ثم أثر هذا الرقى الخلقى عليك وعلى مجتمعك .

لذا يقول سلامه موسى في كتابه « فن الحب والحياة »

« ان الحياة المليئة تحتاج الى سخاء وتفاؤل .. لأن أعظم ما يحدد حياتنا ويقيم حولها السدود والحواجز هو البخل، بخل الذهن وانكماشه وهذا البخل ينشأ عن التشاؤم الذى يحدث لنا الخوف من الاقتحامات فنتبلد ونجمد ثم نعيش في حياة ضنينة قليلة الاختبارات .. وهو عندما يتأمل حياتنا والجوانب التى تقوم عليها يقول أيضا :

« عند التأمل نجد أن لنا ثلاثة حيوات نمارسها جميعا . وهى في صميمها ثلاث ذوات :

١ – فان لنا الذات الحيوانية ، ذات الرجع الانعكاسى ، والشهوات والغرائز للأكل والتناسل والتسلط ، التى نشاهدها في الحيوانات الدنيا والعليا .

٢ – ثم هناك الذات الاجتماعية العرفية التى نحيا فيها بعادات المجتمع بلا تساؤل أو معارضة .

٣ – وأخيرا هناك ذاتنا العالية ، ذات التعقل والقدرة على ان نرى الدنيا بما يقارب حقيقتها عندما نتجرد من غرائزنا وننظر النظر الموضوعى .

والحياة المليئة هى حياة التعقل التى تحملنا على التخلص من الانانية الآسنة إلى الغيرية الحيّة فنتوسع ونتعمق بما يشبه البر الذهنى » .

لذا فإن الحياة المليئة – بتعبير سلامه موسى : « تحتاج الى وفرة من الاختبارات ومعنى هذه الوفرة أن نعيش « لنتعلم » وندرس الكتب والطبيعة والمجتمع ونهتم – بكل شىء – بالسياسة والاقتصاد والتطور البشرى ، نهتم بها جميعا لا متفرجين فقط بل عاملين ايضا ونعيش فيها بروح التساؤل والاستطلاع حتى نفهم حتى يستيقظ ذكاؤنا وتستفيض شبكة المركبات الذهنية في خلايانا المخية » .

عندئذ يتسع أفق الوعى ، ويزداد مدى الخبرة فتمتلىء الحياة بكل زخم الوجود الانسانى الحى .. أى عندئذ تتحول الحياة إلى مشروع للنجاح تستطيع الحياة من خلاله ان تحقق غايتها الأخيرة في الانتصار وليس انتصار الحياة سوى انتصارنا نحن في كسب معركة التقدم والرقى والنجـــاح .

الفصل السابع

فلسفة النجاح

لكل حياة منظومة من القيم .

ومن القيم ماهو سلبي وماهو إيجابي ، ونحن ننشأ على ماتربينا عليه في الأسرة والمجتمع فتكون أفكارنا وعقائدنا وشخصياتنا وأخلاقنا، أفكار وأخلاق الأسرة والمجتمع. فليس ثمة حياة لاتوجهها الأفكار أو ترسم مصيرها وسلوكها العقائد .

ونظرة واحدة الى مجتمعنا وتربيتنا وأفكارنا واخلاقنا كفيلة بأن تجعلنا نجدها جميعا قائمة على محور واحد هو الاستهلاك لاريب في أن مجتمعنا يسوده النمط الاستهلاكي بنهم شديد نتيجة التدهور الاقتصادى والفقر والرغبة الجامحة في التعويض وسد حاجات النقص ، فقيم الاستهلاك السائدة في مجتمعنا تؤثر على افكارنا وأخلاقنا وتربيتنا ومجمل حياتنا وتصوغ قيمنا فتجعل من النجاح المادى السريع هدفا محموما يطلبه الجميع بأى ثمن وبأى وسيلة. ونحن نرى أولادنا على نفس القيم التى تجعل منهم اعضاء ناجحين – ماديا – في مجتمع استهلاكى دون أن نهتم بنقد هذا المجتمع الذى يفرز المرض ويهيىء له البيئة الصالحة بقيامه على الكثير من القيم السلبية .

على ان النجاح الشامل، الحق، يقتضى أن تكون لنا فلسفة في النجاح قائمة على رؤية في الحياة ، أعنى رؤية صحيحة في الحياة . محورها العطاء لا الأخذ.

فانت عندما تفكر في الكيفية التى تجعل بها حياتك إضافة حقيقية ذات فـائدة عظمى للوجـود الانسـانى ككل. فـأنت تفكر في العطاء الى أقـصى الحدود، أى إلى الحد الذى أصبح فيه مثل هذا العطاء العظيم. يتطلب بذل الجهد في سبيل بلوغ تلك الغاية العظمى .

ولأن الغايات العظمى هى غايات العظماء من البشر دون غيرهم فان ما تبذله من الجهد اللازم لتحقيق تلك الغايات العظمى يكفى بالفعل لأن يجعل فيك شخصية عظيمة ناجحة ومفيدة .

ولنضرب مثلاً دالا على النجاح الحق، المفيد للشخص والمجتمع معا لنفرض انك من أصحاب رءوس الأموال في المجتمع وتريد مضاعفة ثروتك في بناء مصنع مثلاً فأى أنواع الإنتاج يجب أن يتخصص به هذا المصنع ؟ في المجتمع الاستهلاكى يفكر أصحاب المال في إنشاء مصانع للبسكويت والمياه الغازية وصناعة وتعليب الحلوى أى أنهم يفكرون في الصناعات الهامشية المربحة، يفكرون في الربح السريع دونما إنتاج أساسى – ثقيل يدعم الصناعة الوطنية ومثل هؤلاء يستنزفون الطاقة الاقتصادية للمجتمع لصالحهم دون أن يخدموا الاقتصاد الوطنى أو يساهموا في خلق نمط إنتاج اجتماعى. وهم الى ذلك يكرسون نمط الإنتاج الاستهلاكى، ليظل المجتمع على تدهوره الاقتصادى والاجتماعى بسبب غياب نمط إنتاج يحقق النمو والتطور الاجتماعى . أى أن نجاحهم الاقتصادى يكون على حسابنا نحن .

والنجاح الحق إذن ليس ذا فائدة شخصية فحسب ، بل يمتد أثره إلى الغير – المجتمع ، وتكون محصلة معناه الأخير هو تقدم الحياة البشرية الانسانية .

والنجاح الحق، لا يكون على حساب الغير، بل بمشاركة الغير ، لكن مثل هذا الفهم للنجاح يتطلب – رؤية – للحياة ، كما قلنا، ولابد أن تختلف هذه الرؤية الشخصية التى نتوخاها عن الرؤى السائدة في مجتمعنا الاستهلاكى .
فكيف يمكن تكوين تلك الرؤية ؟

الثقافة .. ثم الثقافة ، هى المعين الذى يمدك بتلك الرؤية الخاصة للحياة . على ان أعظم الرؤى في نظرى هى ماقامت على « التمرد » كفلسفة النجاح .

أنت في حاجة إلى التمرد على كل شيء وضعك الاقتصادى ، بيئتك ، قدراتك، أفكارك القديمة السلبية ... الخ .

وأنت اذا لم تجعل من التمرد شعارا لك وفلسفة في الحياة فسوف تستمر حياتك كما هى عليه . فانت انما تتمرد على الحياة النمطية التافهة بكل جمودها وثباتها وتقليديتها ، فالحياة ليست اكثر من « مغامرة» لاينجح فيها سوى الشجعان الذين توفرت لهم خبرة المغامرة وتمرسوا بها واستخدموا مبادئها دون خوف أو تردد فأقدموا بذلك على صياغة وجودهم وفقا لمثال أعلى يتطلعون إليه.

انهم يتمردون على كل مايشدهم إلى الخلف أو يعرقل تطورهم ويعوق نجاحهم الوجودى الشامل. وهذا التمرد يتضمن التبرم بكل ماهو تقليدى أو ثابت أو من شأنه أن يحيل الحياة الخصبة الحية إلى جمود وموت .

وبالطبع ليس ثمة تمرد بلا جرأة، فأصل الشجاعة والإقدام هو الجرأة .

ولكى تملك فضيلة الشجاعة والجرأة والإقدام عليكَ أن تقبل في نفسك شتى أنواع المخاوف التى تسيطر على النفس البشرية .. تعرّف أولا على

مخاوفك ثم تلمس الطرق التى تتمكن بها من القضاء نهائيا على تلك المخاوف، إن أغلب مخاوفنا قديمة، متجذرة في الطفولة وأسبابها أيضا مرتبطة بمرحلة الطفولة، ونحن إذا حللنا تلك المخاوف وتعرفنا على أسبابها سنضحك منها كثيرا .. وعندئذ تزول المخاوف وتنتهى تلقائيا .

ويمكنك اكتشاف مخاوفك إذا أجبت بنعم على أغلب الاسئلة الآتية :

١ - هل أنت دائم القلق على مستقبلك العملى (المهنى) رغم ثبوتك في عملك؟

٢ - هل تشعر بأنك منبوذ من زملائك في العمل أو جيرانك أو اقاربك أو الأصدقـــاء؟

٣ - هل تشكو مرضا « صداع ، أرق ، اضطرابات معدية» لم يستطع الطبيب أن يعرف سببه ؟

٤ - هل تخشى المسئولية أو قيادة الجموع أو التكلم في جمع من الناس أو إدارة عمل اجتماعى في ناد أو جمعية ؟

٥ - هل أنت دائم الشك والتوجس في علاقـة الآخرين بك وتحس امكان خداعهم لك أو تآمرهم عليك ؟

٦ - هل تمقت انتهاز الفرص لتحقيق مركز جديد متقدم أو الانتقال من مدينة الى اخرى .

٧ - هل تشعر بكراهية رئيسك لك أو اضطهادك أو مجافاتك وتخشنه معك أثناء العمل ؟

٨ - هل تشعر انك موضع سخرية وهزء وحديث الآخرين في غيبتك ؟

فالمخاوف – حتما – تؤدى الى الفشل أو عرقلة النجاح. لكن ثمة فارق عظيم بين المخاوف الطبيعية وبين المخاوف المرضية المعروفة لدى علماء النفس باسم «كلوستروفوبيا » أو « أجورافوبيا » .

وتفسر المخاوف المرضية بأسباب عديدة أهمها الخوف من إعلان الدوافع الجنسية، من الحياة ذاتها . على اعتبار ان هذه المخاوف تعبر عن رغبة في الانسحاب من الحياة والكمون في حالة ساكنة من الوجود، فأغلب هذه المخاوف تكون كالحجج التى نلقى عليها مسئولية فشلنا في الحياة ونحن نخترعها اختراعا ونبقى عليها في أنفسنا لهذا السبب، أو قد يزرعها الآباء في نفوسنا منذ الصغر. ومهما كانت الاسباب التى أوجدت تلك المخاوف فإن علينا التخلص منها بتحليلها ومعرفة أسبابها .

فاذا تمكنت من التخلص من كافة مخاوفك كان عليك أن تنمى شجاعتك وقدرتك على الإقدام حتى تتأهب لخوض المعارك الحياتية القائمة على التمرد، وهناك أسباب كثيرة تحول بيننا وبين امتلاك صفة الشجاعة ليس الخوف الا أحدها. ويمكن ان نضيف اليه الخجل والتردد والإحجام. ولعل تحليل المخاوف ومعرفة أسباب الخجل والاحجام يفيد ايضا، لأنك ستجد – بلا شك – أن اغلب تلك الاسباب يبعث على الضحك لأنه لايستند – في الواقع – الى سبب معقول في ذاتـــه.

فاذا استخدمت الإيحاء الذاتى في غرس معانى الشجاعة والإقدام في نفسك – بعد ذلك – ستجد نفسك شجاعا خاليا من المخاوف والخجل والتردد. لاسيما إذا تمثلت شخصية أحد العظماء ممن لهم مكانة وشهرة قامت على الشجاعة والثقة بالنفس .

إن الشخصيات العظيمة لو جعلناها مثلاً أعلى نقتفى أثره ونتمثل به ، يمكنها أن تفيدنا كثيراً في نجاحنا في الحياة، لاسيما إذا حاولنا ان نتعلم من تجاربها الذاتية في تحقيق نجاحها الشخصى .

ولوسف نجد – عندئذ – ان « المغامرة » أو « المقامرة » كانت أحد أعمدة فلسفة النجاح التى آمنت بها كل الشخصيات العظيمة .

فالإصرار على تحقيق هدف بعيد عظيم « مغامرة » لأن تحقيق هذا الهدف يتطلب منا الكفاح، والكفاح يعرقله الخوف من الفشل فإذا سيطرنا على المخاوف وامتلكنا فضيلة الشجاعة والإقدام استطعنا بعد ذلك أن نقدم على تلك المغامرة غيرهيابين .

لقد راهنت الحياة ذاتها علينا عندما اختارتنا منذ البدء من بين سائر الكائنات الحية لنحمل رسالة الوجود ونرتقى به، أى لكى نحقق غايتها عبر الارتقاء بأنفسنا ، وكان اختيارها هذا « مقامرة » أو « مراهنة » على الإنسان، ويجب علينا أن نفعل نفس الشىء فنراهن على حياتنا من أجل هدف وحيد هو النجاح الشامل .

هذه بعض ملامح الرؤية التى نظن انه يجب أن نقيم عليها فلسفتنا في الحياة والنجاح ، ولاشك ان اتجاهاتنا وميولنا تتدخل في صياغة رؤيتنا وفلسفتنا في الحياة ونحن نستطيع أن نعدّل ونحسّن من تلك الاتجاهات والميول بالتدريب المستمر حتى نحصّل منها أفضل ميول وأعظم اتجاهات ، إذ ان هذه الميول وتلك الاتجاهات هى التى تعيّن لنا – في الحياة – في النهاية أحط أو أسمى الغايات .

على أنه كلما سمت الغايات كان خطر المغامرة أعظم ، وكانت خشية فقدان الاستقرار أو الاطمئنان اكثر وأكبر ، وهنا يدور الصراع بين الخوف والشجاعة . وهو صراع لايحسمه سوى « مصداقيتك » في ميولك واتجاهاتك وغاياتك التى تعبر عن « حقيقتك الوجودية » في مجملها .

فاذا كانت هذه الحقيقة صادقة كان إيمانك بها عظيما راسخا، وكان لك من هذا الإيمان قوة للتحدى والتمرد والمغامرة والثقة بالنفس في انتصارك الأخير ونجاحك في النهاية مهما بعد أو تأخر هذا النجاح .

وأما إذا كانت تلك الحقيقة زائفة فإن ايمانك بها - حتما - يكون هشا مزعزعا، ويكون هذا التزعزع أدعى الى غرس الخوف والشك وعدم الثقة في النفس والتردد والاحجام عن خوض معركة الحياة أو المغامرة فيها من أجل النجاح .

إذن فالمغامرة هنا هى : اختبار لحقيقتك الوجودية، حقيقة معدن جوهرك الانسانى ، الذى تشكله الميول والاتجاهات والرؤى والغايات ومن البديهى أن الشجاعة لا تهاب المخاطر ولا تركن إلى الطمأنينة أو الركود والاستقرار، في حين أن المخاوف هى التى تجعلنا نطلب الاطمئنان ، ووجود مثل هذه المخاوف إذن يدل على عدم نضجنا بما يكفى . فنحن في حاجة - في ظلها - الى المزيد من التجارب والخبرات التى تنضجنا اكثر، والتجارب العميقة خاصة، والكبرى على وجه أخص. هى مايزيد نضجنا ، فكيف نحصل تلك الخبرات والتجارب دونما مغامرة وإقدام وشجاعة وكم من فرصة لتحقيق النجاح والسعادة أضاعها الخوف والتردد والإحجام الذى يحكم ويشكل فهمنا الجامد

عن الاستقرار الذى ينبغى أن يكون لحياتنا؟ فنحن نبالغ في فهم هذا الاستقرار إلى الحد الذى يبلغ بنا درجة الجمود والموت نحن نضيع حياتنا بالخوف منها أو عليها . في حين إن النجاح والسعادة والعظمة الحقة لا يحققها الا من يغامر ويقامر بحياته .

الحرية والجرأة والإقدام والشجاعة والمغامرة من أعمدة فلسفة النجاح في الحياة إذن، لأن النجاح يحتاج الى الذكاء والذكاء لا يتوافق أو يتواجد مع الجبن أو الخوف في شخصية واحدة إن « أعظم الأعداء للتفكير السليم ولا نقول التفكير العبقرى هو الخوف . ونحن نخاف كثيرا (بل يرسم الخوف حياتنا) . نخاف العرف الاجتماعى ، ولذلك نستهدف الوقار بالتزام عادات وسلوكيات قد تكون من التفاهة الى درجة انها بلا معنى - فلا ننزع الطربوش مثلا الا بعد جهد كبير - وقد يخاف الاديب الصراحة فيخرج أدبه وقورا لاتجد فيه سوى الكلمات والعبارات المألوفة التى لاتبعث على التفكير أو السخط ، يخاف المخالفة للتقاليد أو العقائد الاجتماعية العامة فهو يفكر وهو محاط بسياج منها يجمد ذهنه ويمنعه من الوثوب .

والخوف يحملنا على أن نسلك السلوك الاجتماعي، لاشك في ذلك ولكنه أيضا يحول بيننا وبين حرية الذهن والابتكار والتطور . بل أحيانا يزيد الخوف فيجعل الخائف مريضا عاجزاً عن التفكير البسيط العادى »[1] ونحن يجب علينا ان نتعلم كيفية الارتقاء بنفوسنا وقيمنا من القيم الاجتماعية الى القيم البشرية الانسانية فيكون في إرتقاء الانسان الفرد ارتقاء المجتمع كله

---

(١) : مشاعل الطريق للشباب : سلامه موسى ص ٣٥ .

الفصل الثامن

الطريق إلى النجاح

الطريق الى النجاح يبدأ بالاختيار الصحيح، أو تصحيح الاخطاء في حياتنا والقضاء على مابها من أمراض وسلبيات وشذوذ والطريق الى النجاح يمر عبر سلسلة من الحروب المتوالية عليك الانتصار فيها جميعا ومنها :

* محاربة الفقر :

فإذا كان التطور في الحياة يهدف الى الرقى والتنوع فان التنوع لا يتحقق الا من خلال الوفرة والرخاء، إذن فالأصل في الحياة هو الثراء والوفرة والرخاء بحيث يمكننا القول، إن الفقر والعوز والحاجة ماهى الا انشاءات تمثل خرقا للقانون الطبيعي . والطبيعة ذاتها لاتخرق قوانينها، . الانسان هو الذى يفسد الطبيعة ويحدث بها الخلل بتدخله الخاطيء .

على أن الخلل في النظام أو القانون يجب ان نعتبره من الأمراض التى يجب علاجها، والفقر بهذا المعنى أحد الأمراض التى يتسبب فيها الانسان نفسه بسوء تدخله في توزيع الثروة الطبيعية إذ لايمكن أن يفسر الفقر بالقدر المحتوم الذى لامفر منه ولامحيص عن الخضوع والاستسلام له. لان الخضوع يجعله يستشرى ويمتد من المجتمعات الى النفوس، والبيئات الفقيرة تحكم على أبنائها بحياة الجدب واضمحلال القوى والملكات والمواهب . وتقتل فيهم روح النقد والإبداع والجرأة وتكرس معانى السلبية والخضوع والخنوع والاستسلام للواقع كما لو كان قدرا لامفر منه ولا سبيل الى تغييره .

الفقر إذن نتيجة مباشرة للتفكير الخاطيء وأسلوب المعيشة الخاطئة ويتوقف استمرار الفقر على استمرارنا في نمط التفكير والمعيشة الخاطئة

التى تنتج الفقر، يصدق هذا على الحياة والافراد كما يصدق على حياة المجتمعات أى أن من يجعل أفكار النجاح والتقدم والرخاء والثراء تقود حياته لابد حاصد النجاح والتقدم والرخاء ، ومن يترك افكار البؤس والشقاء والفقر تقود حياته ويؤمن بإنها قدره المحتوم. لابد حاصد لما بذره في نفسه وهمته من نتائج وآثار أفكاره ، فالأفكار كما قلنا تتحول الى أعمال كما تتحول البذور الى ثمار، ولكى نقطف ثمار النجاح يجب أن نبذر بذور النجاح كفكرة في نفوسنا ونعمل بإيحاء منها في كافة الميادين ولن تلبث هذه الفكرة أن تتحول إلى عزيمة ماضية لمحاربة الفقر والانكسار والضعف والاستكانة، وسرعان مايسجل محل هذه المعانى معانى القوة والنجاح والثراء .. كل مانحتاجه إذن هو تغير طريقة التفكير وطريقة المعيشة الخاطئة .

* محاربة المرض :

الصحة الجيدة الكاملة مفهوم من المفاهيم النسبية .

لان الصحة لا تتعلق بالجسم وحده، بل النفس ايضا ، أضف إلى ذلك أن عوامل اخرى مختلفة تساهم في جعل الصحة جيدة الى أقصى حد ممكن، من تلك العوامل – مثلا – الغذاء ، والرياضة ، والراحة البدنية . ويجب أن نتذكر ان أغلب الأمراض البدنية تنشأ عن أسباب نفسية في المقام الأول . مما يعطى «النفس» أولوية في الاهتمام على الجسد .

ومن الأمراض الشائعة بكثرة بين الناس قرحة المعدة ، وضغط الدم ، وعسر الهضم العصبى ، واضطرابات القلب. لكن الاسباب الحقيقية لظهور هذه الأمراض ليست بدنية ، وانما هى اسباب نفسية منها : الخوف ، والقلق

، والتوتر العصبى، فالتحكم في مثل هذه الانفعالات السلبية يؤدى الى الصحة النفسية والبدنية معا .

لكن يمكن أن نحدد عوامل الصحة الجيدة – اجمالا – فيما يلى :

أ – الراحة النفسية . ب – الغذاء الكامل . جـ – الراحة البدنية .

د – الرياضة .

فالراحة النفسية تكمن في التخلص من كافة الانفعالات السلبية كالخوف والقلق والتوتر العصبى والمشاعر العدوانية كالحقد والحسد والكراهية ، وأن يشعر الانسان بأن له في الحياة غاية، وأنه قادر على تحقيق أهدافه .

أما الغذاء الكامل فالمقصود به الغذاء الكافى للصحة بمعنى «كيفى» إذ الكم ليس هو المهم في مسألة الغذاء ونوعه، فالانسان يحتاج الى فيتامينات وسعرات حرارية لاتقل عن ثلاثه الاف سعر حرارى يوميا ، ومجموعه الفيتامينات والبروتينات المعروفة واللازمة هى التى تحدد لنا الغذاء الذى يجب علينا تناوله يوميا . ويجب ان يتالف هذا الغذاء من :

١ – الخضر والبقول	٢ – اللحوم أو الاسماك

٣ – جبن أو بيض	٤ – زبد	٥ – فاكهة

ويحتاج الجسم البشرى الى الراحة البدنية بعد الجهد اليومى الذى يبذله. والوسائل التى يحصل بها الجسم على الراحة كثيرة ومتنوعة لكن أهمها النوم والاسترخاء فالإفراط في الجهد مع إهمال النوم مثلا يؤدى الى ضمور القوى الجسدية وضعف مقاومة الجسم مما يجعله عرضة لغزو الميكروبات أو فريسة

للأمراض . كما ان الرياضة من شأنها ان تحتفظ للجسم بالحيوية واللياقة وتؤخر ظهور أمراض الشيخوخة .

على أنه يجب أن نكرر أن الاهمية الأولى هى للعوامل النفسية في مسألة الصحة عموما، لذا يقول جيمس بندر أنه مهما كانت الوجبة الغذائية متكاملة ومتضمنة كافة العناصر اللازمة فإنها لن تجديك مثلا إذا كنت تتناول طعامك وانت ثائر العاطفة مهتاج الخواطر .

* النجاح في العمل

النجاح في العمل يتطلب حب المهنة، عليك إذن أن تتعلم كيف تحب مهنتك، فان لم تستطع فعليك ان تغيرها وان تبحث لنفسك عن المهنة التى تحبها، والاسئلة التالية تساعدك على اختيار مهنتك فأجب عنها بنعم أو لا ومجموع إجابات نعم ستجد امامه المهنة المناسبة في الجدول التالى للاسئلة : (*)

١ – هل تحب مطالعة كتب الفنون والآداب والطبيعة ؟

٢ – هل تتقن اللغات الاجنبية ؟

٣ – هل تحب الرسم ؟

٤ – هل تحب العلوم الرياضية وتحذق الرياضيات ؟

٥ – هل تحب اصلاح المصنوعات الخشبية ؟

٦ – هل تحب الميكانيكا ؟

٧ – هل أنت ماهر في استخدام العدد والآلات ؟

٨ – هل أنت دقيق وحريص فيما تقول أو تكتب أو تحفظ ؟

٩ – هل تتمتع بصحة جيدة تمكنك من القيام بمعظم شئونك ؟

١٠ - هل تهتم بأمورك الشخصية (طعام ، اغتسال ، شئون البيت) الخ؟

١١ - هل تستطيع توجيه الآخرين وتنظيم الالعاب والرحلات ؟

١٢ - هل انت مخالط يسهل عليك اكتساب الاصدقاء ؟

١٣ - هل تحب الترحال والسفر؟

١٤ - هل تحب الاعمال المستقرة المضمونة الدخل والمعاش عند الاعتزال؟

١٥ - هل تواجه المفاجآت والمنغصات بهدوء وعدم انزعاج ؟

المهنة المناسبة	الاجابة الموافقه لها بنعم	المهنة المناسبة	الاجابة الموافقة لها بنعم
طبيب	١، ٢، ٧، ٨، ١٠، ١١، ١٤	محام	١، ٢، ٧
مهندس	١، ٣، ٤، ٦، ٨، ١٠، ١٢، ١٤	صيدلى	١، ٢، ٧، ٨
مدرس	١، ٢، ٧، ٨، ١٠، ١١، ١٣	ممثل	١، ٨، ١١، ١٢
طيار	٤، ٦، ٨، ١٠، ١١، ١٢	كهرباشى	١، ٦، ٨، ١٠
صحفى	١، ٢، ٧، ٩، ١٠، ١٢، ١٤	ميكانيكى	٣، ٤، ٥، ٦، ٨، ٩
مهندس لاسلكى	١، ٢، ٧، ٨، ١١، ١٢	مثمن	١، ٤، ٧، ١٠، ١٢
موظف تجارى	١، ٢، ٧، ٨، ١٠، ١١، ١٢	موزع	١، ٢، ٧، ٨، ١٤
مقدر	١، ٣، ٤، ٦، ٧، ٨، ٩، ١٢، ١٤	جراح بيطرى	١، ٧، ٨، ١٠، ١٤
بحار	٦، ٨، ٩، ١١، ١٢، ١٤	طبيب اسنان	١، ٧، ٨، ١١، ١٤
موظف حكومى	١، ٢، ٧، ١٠، ١١، ١٣	مدرب رياضى	٨، ٩، ١٠، ١١، ١٤
مهندس طوبجى	١، ٢، ٣، ٧، ٨، ١٠، ١٢	طبيب أشعة	١، ٧، ٨، ١٤
منقب	١، ٢، ٤، ٧، ١٢	رسام	٣، ١٢
مزارع	٨، ٩، ١٠	نجار مهندس	٥، ٦، ٨، ٩
مخطط مدن	١، ٢، ٨، ١٠، ١٣	معمارى	١، ٣، ٤

(١) : وليم سرجيوس : علم النفس في خدمتكم (١٩٤٦)

** النجاح في الزواج :

الرابطة الزوجية تتطلب الوفاق والوئام بين الزوجين والزواج الناجح هو الذى تتحقق فيه الشروط التالية :

* أن يتسع الوعى لإدراك ان الحياة ليست ممهدة على الدوام أو خالية من المشاكل وان الزواج هو كفاح من أجل تكوين أسرة، وكل كفاح تواجهه العقبات والمشاكل . لكن بالحب والتفاهم والصبر يمكن استمرار الزواج وتجنب كافة المشاكل أو حلها .

* والرابطة الزوجية تقوم على الحب والوفاء والاخلاص وحسن الاختيار الذى يجنبك الكثير من المشاكل المتعلقة بالزواج والتى تكتشفها – فيما بعد – نتيجة سوء الاختيار ، ومن تلك المشاكل مثلا : عدم التوافق في المشارب والميول والافكار .

* النضج العاطفى يكفل السعادة الزوجية ..ومن علامات النضج أن تشرك شريكك في حياتك الزوجية في احلامك وأفكارك ومشروعاتك ، وأن تفكر في كيفية إسعاده، وان يشعر كل منكما بانه يكمل الأخر. وان بقدرتك التغلب على المشاكل التى يمكن أن تعكر صفو الحياة الزوجية، وان تقدم بعض التنازلات التى تؤدى الى التفاهم والوئام وهى تنازلات عن صفات سيئة مثل الأنانية والصلف والكبرياء، وان تتجاهل العيوب – الصغيرة – في الطرف الآخر. وان تؤمن بان الزواج يقوم على الألفة والعطاء قبل الأخذ وان الاخلاص والوفاء والتضحية من أهم عوامل النجاح في الزواج .

* من عوامل نجاح الزواج ان تجد بينك وبين شريك حياتك ماتشتركان فيه كالعمل الواحد أو التعليم الواحد أو الأحلام الواحدة . لان الاشتراك في

شيء واحد أو عدة اشياء مشتركة يدعم التفاهم والألفة ويوسع مدى العلاقة الزوجية لتشمل الصداقة والزمالة فيصبح ذلك مدعاة لتوثيق عرس الزواج واستمرار الحياة .

* الزواج الناجح يقوم على معرفة وثيقة وليس على مجرد العلاقات الوابية أو القصيرة الأمد - حتى يتمكن كل طرف من معرفة الآخر معرفة جيدة وافية تمكنه من الحكم العقلي عليه بعد عدة اختبارات مختلفة في ظروف متباينة إذ لم تعد فترة الخطوبة بكل إيجابياتها مقياسا كافيا للحكم على شريك الحياة .

* الزواج الناجح يتجنب الفوارق إذ هناك فوارق تؤدى حتما إلى فشل الزواج مهما كان الحب الذى جمع كلا من الزوجين . ومن تلك الفوارق : اختلاف الدين، الفوارق الاجتماعية « الطبقية » ، الفوارق الثقافية .

* الزواج الناجح هو مايقوم على الاختيار الصحيح والحب والاخلاص والتفاهم . ولاينجح الزواج إذا قام على رغبة الهرب من المشاكل، مشاكل العمل أو الأسرة أو الهرب من حب فاشل ... الخ ، لان الهرب يعنى عدم القدرة على تحمل المسئولية والزواج الناجح يتطلب حل المشكلات أولا بحيث لاتظهر المشكلات المؤجلة بعد ذلك لتفسد الحياة الزوجية .

ويقول « وليم سرجيس » في نصائحه من أجل زواج سعيد :

- يجب مراعاة الاختيار لشريك الحياة وفقا للصفات الجيدة المحبوبة التى تدوم .- احرص على انتزاع الانانية من نفسك فهى هادمة لكل علاقة .
- يجب أن يتحاشى كل منكم إهانة الآخر أو الإساءة إليه سواء كنتما على انفراد أو وسط جماعة .

- لا تغضبا كلاكما في وقت واحد .

- ليتجنب كل منكما الكلام مع الآخر بصوت عالٍ .

- لا تدع الشمس تغيب وانت مستمر في غضبك أو حزنك أو خصامك .

- ليحاول كل منكما ان يكون الواحد الذى يجيب رغبات الآخر .

- توخ انكار الذات ومارسه يوميا .

- لاتشر إلي خطأ الا إذا تأكدت من وقوعه ولتكن الإشارة إليه بعبارات ودية .

- إذا أخطأت لاتدع الخطأ يمر دون الاعتراف به وطلب الصفح عنه .

- إذا أهمل الواحد منكما العالم كله، لايجوز له أن يهمل شريك حياته .

- ليعمل كل منكما على الا يتكرر الطلب من الآخر .

- عند افتراقكما يوميا ليقل كل منكما للآخر كلمة حب .

- لايشغف الواحد منكما بالآخر أو يشك به اكثر من اللازم .

- تذكر دائما الأوقات السعيدة في بدايات حبكما واحرصا على ملء الحياة بالسعادة .

- لا تتحسر على ما فات من سعادة وواجه الحاضر من أجل مستقبل أفضل .

- يجب أن يكون لحياتكما الزوجية مثلاً أعلى تعملان لبلوغه لتحقيق السعادة والسلام .



** قواعد للنجاح

* يجب ان يكون الاهتمام والتنبه والدقة والإخلاص ديدنك في فعل وعمل وسلوك .

*لاتقدم على عمل من الأعمال مهما كانت تفاهته دون أن تفكر فيه .

* غامر بكل شيء .. عدا اسمك وسمعتك .

* جاهد في توسيع واستخدام خيالك ومواهبك وقدراتك .

* تعلم الصبر وانتظر الفرصة .

* أحسن العشرة وجامل الناس تكسب صداقتهم وودهم .

* لاتحتقر الناس ولا تنتقص كفاءات الغير. فالتقدير الصحيح للناس لايختلف عن التقدير الصحيح للنفس .

* ضاعف جهودك في مختلف الميادين ولاتخف من بذل الجهد على صحتك مهما كان هذا الجهد .

* لا تحصر دائرة اهتماماتك في نفسك .. اهتم بالمسائل العامة والعب دوراً فيها .

* اجعل الصراحة والنزاهة شعارك في معاملة الآخرين .

* اجعل عدم التظاهر وعدم التبجح وعدم الغرور من شعاراتك عندما تحقق نجاحا ملحوظا .

* واجه الحقائق بحسم وشجاعة .

* اجعل لكل عمل خطة ودراسة .

* قسم الوقت لأداء اكبر عدد من الاعمال، في مختلف المجالات ، ولاتسمح لعمل أن يطغى على الوقت المخصص لعمل آخر، فلكل شيء وقته. للعمل وقت، وللأسرة وقت ، وللهواية وقت، وللأصدقاء وقت .. وهكذا .

* خصص وقتا لتنمية ملكاتك وذكائك بالقراءة ودراسة ماتقرأ وتحليله ومقارنته بالثابت الموروث لديك من الأفكار، ثم أعمد إلى النقد بعد التحليل والمقارنة وحاول أن توسع ميادين القراءة ماأمكن حتى تتنوع معارفك :

* تذكر ان الشخصية الضحلة أو السطحية هى الشخصية الوحيدة الجانب، القليلة الاهتمامات، فلا تكن عمليا فحسب، بل كن أيضا رجل فكر ، وأضف الى واقعيتك شيئا من الرومانسية ، وحاول أن تجعل لنفسك شخصية جامعة « ثرية»، وبذا تحقق النجاح على مستوى الشخصية ولسوف ينعكس أثر ذلك على مختلف ميادين حياتك .

* لاتعترف بالمستحيل أو استحالة حل المشاكل أو تذليل العقبات . ولتؤمن دوما أنك تملك القوة القادرة على حل كافة المشاكل وتخطى كافة الصعوبات .

* لاتدع المبررات التى تمهد للناس طريق الفشل تستولى على ذهنك ، وما اكثر هذه المبررات الموروثة التى منها : التواكل والاعتقاد بسوء الحظ أو تعنت القدر أو شؤم الطالع والنحس .. الخ .

* تذكر أن السعادة تتحقق بتحقق النجاح، ويتحقق النجاح عندما تمتلىء الحياة بالحيوية والثراء وتتعدد جوانبها واهتماماتها وغاياتها .

* تجنب التفاهة في كل شيء، في نفسك وفي الناس، في الاشياء والأفعال والكتب التى تطالعها، واجعل «القيمة» غاية يتوخاها كل فعل من أفعالك . في الصداقة أو القراءة أو العمل، وبهذا تضمن قيمة أعمالك وعدم إهدار الوقت والطاقة في التوافه ، وتضمن لحياتك معنى وقيمة ، وتضمن التطور الدائم والتجدد المستمر مادام البحث عن القيمة والمعنى هو المعيار الذى يحكم كافة توجهاتك وأعمالك .

* وتذكر أن طلب المعنى والقيمة لا يتحقق الا في ضوء الوعى . فاحرص على طلب المعرفة واحرص على أن تكون من الذين يبدعون ويضيفون ، أي من الذين ينتجون المعرفة لا من الذين يستهلكونها. فالمعرفة غذاء الوعى، والوعى المتكامل أساس الأحكام والمواقف السليمة ومعيار القيم العليا .

* إجعل لحياتك قيمة بان تجعل لها هدفا ورسالة وذلك بأن تضيف الى الحياة وتثريها بثراء حياتك .

* تذكر أن النجاح في العلاقات الانسانية يتوقف على مدى قدرتك على العطاء فاعمل على تنمية هذه القدرة.

* تذكر ان النجاح في العمل يتوقف على النشاط ومقدار الجهد المبذول عن حب واخلاص .

* تعلم كيف تحب عملك حتى تنجح فيه وتقتل الملل أو الضجر الذى يحاول صرفك عنه، فاذا لم تفلح فعليك أن تعرف ماالعمل الآخر الذى تجيده وتحبه بالفعل ، وعليك ان تلبى نداء هذا الحب ولو بالجرأة على تغيير مهنتك . لانك ستنجح حتما في عملك الآخر المحبوب .

* لاتخف من المغامرة أو المخاطرة عند الاقدام على اتخاذ قرار من شأنه أن يثرى حياتك أو يحدث تحولا مصيريًا في مجراها .

* لاتدع أحدا يتدخل في تحديد مسارك ومصيرك بالتأثير على قراراتك سوى عقلك ومواهبك وميولك مهما كانت مكانته لديك .

* تذكر أن بامكانك التخلص من أى وضع سيىء في الحياة بمجرد أن تغير طريقة واتجاه التفكير والعمل وأن تختار الوضع النقيض.

* تذكر أن القدرة على النجاح موجودة في النفس، مهما خفيت على الذات، والمهم هو اكتشافها وتوجيه طاقتها الوجهة الصحيحة بحماس ..

* تذكر أن تنمية ملكاتك ومواهبك وشخصيتك ووعيك وتكوينك لموقف فكرى متميز بالوعى عن الوجود هو سبيلك الأوحد لتحقيق التفرد والتميز والنجاح الشامل المتكامل في مختلف ميادين الحياة .

* تذكر أن القناعة وماشابهها من المفاهيم السلبية، خاصة فيما يتعلق بتنمية المواهب والقدرات والقوة المبذولة من أجل النجاح فانك تملك قدرات يمكن زيادتها من حين إلى آخر، وليس من حدود التنمية تلك القدرات والمواهب. وكلما اتسع الأفق والوعى اتسعت دائرة إمكانيات تحديد وتزايد تلك القدرات . واتسعت بالتالى آفاق ومجالات النجاح والتفاؤل والآمال والسعادة.

* الكلمات أفكار، والأفكار هى التى تقود حياتنا ، لأنها تتحول بعد ذلك إلى أعمال ، فاحرص على اختيار أفكارك وكلماتك وتمعن بها قبل نطقها لأنها تدل على تفكيرك وشخصيتك أمام الغير، كما ترسم شخصية الغير أمامك

وتحدد حكمك عليه سلبا وإيجابا واحذر أن تستسلم لكلمات الغير الدالة على الفشل واليأس والاحباط. كما لاتسمح لنفسك أن تتلفظ بتلك المعانى أمام الغير حتى لا تغرس في النفوس الضعيفة استعدادات اليأس والهزيمة والفشل والانكسار .

* اجعل من ظروفك العائلية ، مهما كانت ، حافزاً للتقدم وبذل المزيد من الجهد لتحقيق المزيد من النجاح .
* اجعل من انتقادات الآخرين، مهما كانت ، حافزا للنجاح ولاتسمح لها أن تثبط همتك .
* استفد من تجارب الآخرين لتجنب الفشل، أو تحقيق النجاح، مع الحفاظ على بصمتك الخاصة وأسلوبك في حياتك وتفكيرك .
* اهتم بدراسة أسلوب منافسيك لتتجنب المساوىء والاخطاء وتستفيد من طرق ووسائل نجاحهم .
* اقهر المخاوف أيا كانت ولاتدع القلق أو التردد أو الخجل أو عدم الثقة بالنفس يؤثر في حياتك بالسلب .
* المخاطرة والمجازفة تزيد من فرص النجاح وإثراء الحياة فلاتخشاهما وأقبل عليهما بشجاعة وإقدام .
* كافة مشاكل الحياة لو حاولنا علاجها بالتفكير السليم ستؤدى بنا حتما الى النجاح عندما نتمكن من حلها بهدوء وصبر وشجاعة .
* يقظة الشعور والوعى من أهم علامات « الحياة الحقة » بيد أن هذه اليقظة لاسبيل الى الحصول عليها الا باستقلال الشخصية، وهو استقلال

يتوقف على استقلال الفكر والوعى ، وعلى الأخص استقلال موقفنا الفكرى عن الحياة والوجود . إذ ينبغى لنا أن نتميز بهذا الموقف المستقل عن موقف الآخرين، ايا كانوا ، فإذا حققنا هذا الاستقلال أصبح شعورنا يقظًا حيًا متفرداً في تميزه عن « الشعور الجمعى » الذى غيبته « الحياة الجمعية » وغمرته في الروتين المبتذل للحياة اليومية. ذلك الروتين الذى يكرس كافة طاقاتنا وجهودنا لمجرد تحقيق غاياتنا البيولوجية ويردنا بذلك الى مستوى من الوجود لايليق بغير الحيوانات أو الحشرات

محتويات الكتاب	الصفحة